توجه مكسيم رودنسون في الفصل الثالث (ولادة نبي) من كتابه (محمد) (تحليل ونقد)

د. طلال بن عبدالله ملوش
أستاذ الدراسات الاستشراقية المساعد
ورئيس قسم الاستشراق بجامعة طيبة
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

توجه مكسيم رودنسون في الفصل الثالث "ولادة نبي" من خلال كتابه (محمد) (تحليل ونقد)

طلال عبدالله ملوش
قسم الاستشراق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة طيبة ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية .
البريد الإلكتروني: T_malloush@hotmail.com

ملخص البحث:

البحث يتناول عرض وتحليل رؤى المستشرق اليهودي الفرنسي "مكسيم رودنسون" فيما كتبه في "الفصل الثالث" من كتابه (محمد)، حيث تناول بالعرض والتحليل جميع الصور التي رسمها المستشرق "مكسيم رودونسون" عن حياة النبي من حيث نشأته صلى الله عليه وسلم وشبابه ومكانتة وصفاته وزواجه ودلائل نبوته...

كما يسلط الضوء على بيان منهجية وأساليب ومصادر مكسيم رودنسون في كتابه، وأبرز النتائج التي ظهرت للباحث من خلال المناقشة والتحليل.

الكلمات المفتاحية:

المستشرق مكسيم رودنسون ، مكسيم ، رودنسون ، ولادة نبي ، محمد ، المستشرقين والسيرة ، المستشرقون والسيرة ، السيرة النبوية عند المستشرقين ، الدراسات الاستشراقية ، الدراسات الاستشراقية والسيرة ، الاستشراق .

Maxim Rodinson views on the life of the Prophet through his book (Muhammad) in Chapter Three, "The "Birth of a Prophet (Analysis and criticism)

Talal Abdullah Malloush

Department of Orientalizm , Faculty of Arts and Humanities , University Taibah University , Madinah , Saudia Arabia.

Email: T_malloush@hotmail.com

Abstract:

The research deals with presenting and analyzing the visions of the French Jewish orientalist "Maxime Rodinson" in what he wrote in "Chapter Three" of his book (Muhammad).

Where the researcher dealt with the presentation and analysis of the most prominent views put forward by the orientalist "Maxim Rodonson" about the life of the Prophet in terms of the Prophet's upbringing, youth, position, qualities, marriage and evidence of his prophethood…

Keywords: Maxim , Rodinson , Maxim Rodinson , Orientalist Maxim Rodinson , The birth of a Prophet , Muhammad , Orientalists and the biography of the Prophet , Orientalists and the biography of the Prophet , the Prophet's biography of the Orientalists , Oriental Studies , Oriental Studies and the Biography of the Prophet , Orientalism.

مُقَدِّمَة

ثم أما بعد ... الحمدلله القائل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧، والصلاة والسلام على خير مبعوث للعالمين محمد بن عبدالله الصادق الأمين، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ثم أما بعد ...

مما لا شك فيه أن العالم لم يعرف منذ ظهور الإسلام شخصاً أكثر ذكراً لاسمه ودراسة لحياته وسيرته واهتماماً بمواقفه، وموافقته أو مخالفته مثل محمداً ﷺ، فلو قيست عظمة العظماء بهذا المقياس لرجحت كفته ﷺ، ولو قيست بمدى التأثير أو بكمال الأخلاق لرجحت كفته ﷺ، ولو قيست بضعف الإمكانات مقابل عظمة الأهداف والظروف لرجحت كفته أيضاً، وعليه فإنه ﷺ يستحق أن يتصدر المشهد العلمي والفكري الحضاري منذ أكثر من ١٤٠٠ عام وإلى اليوم باستحقاق وبجداره.

والحقيقة أنني كنت أجالد نفسي في قراءة كتابات تهاجم سيرة النبي محمد ﷺ ومناقشتها وعلى رأسها كتابات مكسيم رودنسون، فكم من مرة عزمتُ فيها على إلقاء كتاباته في سلة المهملات، لأنني حين أقرأ كتاباته وأناقشها أجدني لا أقرأ أو أُناقش لإنسان منهجي موضوعي، فكل ما أقرأه ما هي إلا اجتهادات شخصية واحتمالات وتوقعات وتفسيرات غير منطقية، بل كثيراً ما شعرتُ بأنها ألاعيب شيطان يحاول إحكامها بشتى الطرق وبكل ما أُوتي من قوة، ولم يكن من شيء يلزمني التحلي بالصبر سوى أن أُسهم في توضيح حقيقة منهجيته وألاعيبه التي انطلت على كثير من الأوروبيين وجعلتهم سبباً في حمل تصورات خاطئة عن ديننا ورسولنا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولا تزال آثار هذه الكتابات يشاهدها ويلمسها المسلمون إلى يومنا هذا في البلاد الأوروبية، وعلى رأسها فرنسا.

حاول مكسيم جاهداً من خلال كتابه (محمد) في فصله الثالث (ولادة نبي) تصوير حياة النبي محمد ﷺ بصورة بشعة تجعل القارئ الأوروبي يخرج بتصور مشوه بعيداً كل البعد عن الحقيقة، والمباحث التالية تبرز كم اجتهد في تشويه الحقائق حول الرسول ﷺ .

المبحث الأول: رؤية مكسيم رودنسون حول مولده ونشأته ﷺ.
المبحث الثاني: رؤية مكسيم رودنسون حول دلائل نبوته ﷺ قبل البعثة.
المبحث الثالث: رؤية مكسيم رودنسون في صفات النبي ﷺ قبل البعثة.
المبحث الرابع: رؤية مكسيم رودنسون حول زواجه ﷺ.
المبحث الخامس: منهجية مكسيم رودنسون ومصادره في كتابة مادة هذا الفصل.

أهداف الدراسة

أولاً: عرض وتحليل الصورة التي رسمها مكسيم رودنسون حول ولادته ونشأة النبي ﷺ.

ثانياً: عرض وتحليل الصورة التي رسمها مكسيم رودنسون حول دلائل نبوته ﷺ قبل البعثة.

ثالثاً: عرض وتحليل الصورة التي رسمها مكسيم رودنسون حول شخصه ﷺ ومكانته وصفاته.

رابعاً: عرض وتحليل أدلة مكسيم رودنسون حول زواجه ﷺ.

خامساً: استنباط منهجية مكسيم رودنسون وأساليبه ومصادره في إثبات مادة هذا الفصل.

تقسيمات موضوعات البحث

المقدمة: ترجمة مكسيم رودنسون وكتابه (محمد)

المبحث الأول: رؤية مكسيم رودنسون حول مولده ونشأته ﷺ.

أولاً: رؤية مكسيم رودنسون حول مولده ﷺ .

ثانياً: رؤية مكسيم رودنسون حول طفولته ونشأته ﷺ .

طفولته ﷺ .

الروايات والمصادر المتعلقة النبي ونشأته ﷺ .

المبحث الثاني: رؤية مكسيم رودنسون حول دلائل نبوته ﷺ قبل البعثة

أولاً: نبوته ﷺ.

ثانياً: التشكيك في كل حادثة أو رواية أو قصة تشير أو تبرز مكانة النبي محمد ﷺ

حادثة شق الصدر.

قصة بحيرا الراهب.

عصمة النبي ﷺ في صغره من الوقوع في أمور الجاهلية.

المبحث الثالث: رؤية مكسيم رودنسون في صفات النبي ﷺ قبل البعثة

أولاً: الصفات الشخصية

النبي الأُمِّي.

الصادق الأمين.

ثانياً: الصفات الجسدية.

ثالثاً: الصفات النفسية.

المبحث الرابع: رؤية مكسيم رودنسون حول زواجه ﷺ

أولاً: السبب في تأخر زواجه ﷺ.

ثانياً: طلبه ﷺ لأم هانئ رضي الله عنها زوجاً له.

ثالثاً: أسباب رغبة خديجة رضي الله عنها وقبولها للزواج من الرسول ﷺ.

رابعاً: استخدام خديجة للخمر وسيلة للزواج من الرسول ﷺ

خامساً: أسباب زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

سادساً: طبيعة مشاعره ﷺ لخديجة رضي الله عنها.

المبحث الخامس: منهجية مكسيم رودنسون وأساليبه ومصادره في إثبات مادة هذا الفصل

أولا: منهجيته

ثانياً: مصادره

المقدمة

ترجمة مكسيم رودنسون وكتابه (محمد)

أولاً: ترجمة مكسيم رودنسون (MAXIME RODINSON)

ولد مكسيم رودنسون في باريس ٢٦ يناير ١٩١٥م، وتلقى تعليمه في جامعة السوربون الفرنسية، فدرس اللغات السامية، وعلم الأجناس، وتخصص في الدراسات الشرقية وفي الدراسات الاجتماعية الوطنية للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية العليا، كان معتنياً بتاريخ المجتمعات والصراعات السياسية.

تولى العديد من المناصب العلمية في كل من سوريا ولبنان من المعاهد التابعة للحكومة الفرنسية هناك، كما عمل أستاذاً في المدرسة العلمية للدراسات العليا بباريس قسم العلوم التاريخية واللغوية فيها، ثم محاضراً فيها العلوم الاقتصادية والاجتماعية، ثم مديراً لها، نال العديد من الأوسمة والجوائز من الجهات العلمية الفرنسية والأوروبية.

وله العديد من المؤلفات منها: الإسلام والرأسمالية، وجاذبية الإسلام، ومحمد، وإسرائيل والرفض العربي، وله العديد من الدراسات التاريخية والتاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي.

مات بباريس في فرنسا يوم ٢٣ مايو ٢٠٠٤م.(١)

ثانياً: كتابه "محمد" MOHAMMED

نشر كتاب مكسيم رودنسون عن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في الستينات، وتحديداً في عام ١٩٦١م، وكان نشره باللغة الفرنسية، وقد تولت نشر الكتاب: **Club fran ais du livre** ، ثم أُعيد نشر الطبعة الثانية المنقحة عام ١٩٦٨م بواسطة: **Editions du Seuil**، وقد حظي الكتاب بانتشار واسع واهتمام كبير لدى الغربيين أدى في نهاية المطاف إلى ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية من قبل **Anne Carter** في بداية السبعينات، وتحديداً في عام ١٩٧١م، ونشرته **The Penguin Press**، ثم أُعيد نشره عام ١٩٧٣م بواسطة: **Pelican Books**، ثم أُعيد طباعته في الأعوام التالية: ١٩٧٦م ، ١٩٧٧م ، و١٩٨٣م ، ١٩٨٥م.

وقد جاء اعتمادنا في بداية الأمر على النسخة الفرنسية، ولصعوبة الترجمة لبعض المواطن تم العدول إلى النسخة الإنجليزية والتي جاءت صفحاتها في ٣٦١ صفحة، وتتكون من مقدمة وثلاثة تمهيدات وسبعة فصول، ولضيق المقام في هذا البحث اقتصرت على مناقشة أبرز ما تناوله مكسيم رودنسون في الفصل الثالث من كتابه بعنوان: "ولادة نبي" (**BIRTH OF A PROPHET**).

---

(١) ينظر: المستشرقون، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم، نجيب العقيقي، دار المعارف مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤م، ١/ ٣٢٨: ٣٢٩.

المبحث الأول

رؤية مكسيم رودنسون حول مولده ونشأته ﷺ

أولاً: رؤية مكسيم رودنسون حول مولده ﷺ

يقول مكسيم رودنسون: " ما من أحد يعلم بالضبط متى ولد محمد، والذي أصبح نبي الله، ويعتقد أنه ولد خلال عهد كسرى أنوشروان (Khusrõ Anösharwän)، أي قبل سنة ٥٧٩م، وهو مايبدو محتملاً، وقيل إنه ولد في عام الفيل -العام الذي هزمت فيه طيور السماء (الأبابيل) جيش أبرهة قبل مكة- ولكن هذا غير صحيح بالتأكيد. ويتراوح التاريخ المحدد الذي تم التوصل إليه عن طريق بعض الحسابات (الروايات) المثيرة للشكوك بين ٥٦٧ و ٥٧٣، ويعتبر تاريخ ٥٧١ الأكثر قبولا عموما "[١].

والذي يتبين للباحث من خلال كلام مكسيم رودنسون أنه ينفي مطلقاً العلم على وجه التحديد بالتاريخ الذي ولد فيه الرسول ﷺ، بل إنه يؤكد على ذلك بقوله: "ما من أحد يعلم بالضبط"، كما أنه يستخدم أسلوب التشكيك والطعن في الروايات التي تخالف لما يقول؛ يأتي ذلك في قوله: "ويعتقد"، وقوله: "ولكن هذا غير صحيح بالتأكيد"، وقوله: "المثيرة للشكوك".

والحقيقة أن مجمل كتب السيرة النبوية التي تحدثت عن مولد الرسول ﷺ تتفق على أن مولده ﷺ كان في عام الفيل[٢]، يقول ابن كثير: "والمجمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل"[٣]، "هذا هو المشهور عند الجمهور"[٤]، وإن كان قد أُختلف في تحديد اليوم الذي ولد فيه الرسول ﷺ "ولد ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل: ثامنه، وقيل عاشره، وقيل لثنتي عشرة منه"[٥]، إلا أن هذا لا يُبنى عليه جزم أو تشكيك أو تضليل في معرفة تاريخ مولده ﷺ كما يزعم مكسيم، كما أنها ليست هناك من ميزة في معرفة يوم ميلاده ﷺ، "فلو كان في معرفة يوم ميلاده ﷺ ميزة دينية أو قُربة يتقرب بها المسلمون إلى الله أو يُظهرون بها مدى محبتهم للنبي محمد ﷺ لكان حث الشرع على ذلك، أو لكان أصحاب النبي ﷺ وأهل الثلاثة القرون الأولى هم أحق الناس بذلك، حيث

---

(١) ص ٣٨.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام، (١٥٨/١)، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، (١٤٤/١)، السيرة النبوية واخبار الخلفاء لابن حبان، (٣٣/١).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير، باب مولد الرسول ﷺ، (٢٠٣/١).

(٤) البداية والنهاية، (٣٢٠/٢).

(٥) الفصول في السيرة، فصل ولادته ورضاعته ونشأته، (٩١/١).

قد كانوا أقرب الناس للدين منا وأكثر بذلاً لما فيه وتضحيه وأكثر من نصروا الدين ونشروه في ربوع الأرض"[١].

ثانياً: رؤية مكسيم رودنسون حول نشأته ﷺ

١.طفولته ﷺ

يقول مكسيم رودنسون: "لا شيء يُعرف على وجه اليقين عن طفولة محمد، فتولدت عن هذا الفراغ تدريجياً العديد من الأساطير التي زاد جمالها وبنيانها بمرور الزمن، وحتى الروايات الأولى الأقل غلوا يجب أن يتم التعامل معها بحذر شديد"[٢].

ينفي مكسيم رودنسون المعرفة المؤكدة بطفولته ﷺ جاهلاً أو متجاهلاً الكم الهائل من الروايات الواردة حول طفولته ﷺ منذ أن كان رضيعاً وحتى شهوده حرب الفجار في السنة العشرين من عمره، حيث أكمل فيها مرحلة شبابه وبدأت مرحلة أخرى من حياته وهي زواجه من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ومن المعلوم أن الكثير من كتب السيرة وكتب التاريخ تكلمت عن طفولته ﷺ، حيث عرفت طفولته منذ أن ولد رسول الله ﷺ يتيماً؛ إذ ولد بعد موت والده عبدالله بن عبدالمطلب بأشهر قلائل، وكفله جدّه عبد المطلب بن هاشم، والتمس له الرضعاء، واسترضع في بني سعد من بني هوازن، ثم في بني نصر بن سعد أرضعته منهم حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث، وعُرف أخوته من الرضاعة، وكان أهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله، ثم عُرفت عنه حادثة شق الصدر، ثم عودته إلى أمه، وبعد أن مات جده عبد المطلب لثمان سنين من ولادته عهد به إلى ابنه أبي طالب فأحسن ولايته وكفالته، وكان شأنه في رضاعه وشبابه ومرباه عجبا. وتولّى عمه حفظه وكلاءته من مفارقة أحوال الجاهلية، وعصمته من التلبس بشيء منها، وهذا أيضاً من حفظ وكفاية الله له وحياطته به، وكيف كان يتيماً فآواه وضالاً فهداه وعائلاً فأغناه قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ الضحى: ٦ : ٨، وقد كانت هذه منازل الرسول ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل[٣]، وقد حمل الحجارة مع عمه العبّاس لبنيان الكعبة وهما صبيان، وكانت بركاته تظهر بقومه وأهل بيته ورضعائه في شئونهم كلها. وحمله عمه أبو طالب الى الشام وهو ابن ثلاث عشرة وقيل ابن سبع عشرة، فمرّوا ببحيرا الراهب عند بصرى فعاين الغمامة تظله والشجر تسجد له، فدعا القوم وأخبرهم بنبوّته وبكثير من شأنه في قصة مشهورة. وقد شهد حرب

---

(١) موقع الباحثون المسلمون، https://www/The.Muslim.researchers/posts

(٢) ص ٤٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٧٢٤/٨.

الفجار وهو ابن عشرين سنة، ثم خرج ثانية إلى الشام تاجراً بمال خديجة بنت خويلد مع غلامها ميسرة ومروا بنسطور الراهب، فرأى ملكين يظلّانه من الشمس فأخبر ميسرة بشأنه، فأخبر بذلك خديجة فعرضت نفسها عليه، وجاء أبو طالب فخطبها إلى أبيها فزوجه.[١] فهل توجد طفولة مدونة بهذا الحجم من التفاصيل في التاريخ الإنساني حظيت بالاهتمام والتدوين والنقل وفق مناهج المحدثين في النقل والرواية.

وعليه فإن مزاعم مكسيم رودنسون حول الجهل بطفولته ﷺ لا أساس لها من الصحة.

٢ـ الروايات والمصادر المتعلقة بطفولة النبي ونشأته ﷺ.

يقول مكسيم رودنسون: " إن عدداً كبيراً من الناس وبدافع من الفضول أو بداعي التقوى أو حتى لمصالح تاريخية معينة تطلعوا إلى العديد من المعلومات عن حياة محمد، وبدأ العديد من الرواة في الظهور كمخزون رسمي للتقاليد، وشرعوا في سرد العديد من الروايات لإشباع هذا الفضول أو لغايات دعوية أو حتى لتقديم فتوى تستوجبها الضرورة انطلاقا من أعمال الرسول كقيمة مثلى"[٢]، ويقول: "وعلى شاكلة المؤرخين المعاصرين كان على هؤلاء الرواة أن يذكروا مصادرهم والتي كانت شفوية... لذا كان يسهل أن توضع تقاليد زائفة... وربما تسرب الكثير من الخيال في هذه الروايات"[٣]

ويقول: "بعض المؤشرات المبهمة وغير الموثوقة من خلال السيرة النبوية"[٤].

لقد حذّر مكسيم في طيات كلامه من التعامل مع الروايات المتعلقة بطفولته ونشأته ﷺ وشكك فيها ووصفها بالزيف والخيال وأن الدافع من كتابتها إنما هو الفضول وتحقيق المصالح، بل أشار إلى أن السيرة النبوية تحوي بعضاً من المؤشرات المبهمة وغير الموثوقة.

---

(١) ينظر: البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ١٣٤/٤، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المكتبة التوفيقية، ٣٢/١: ٥١، البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م، ٣٢٣/٢: ٣٥٥، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد(المتوفى: ٨٠٨هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ٤٠٧/٢: ٤٠٩.

(٢) ص ٤٣.

(٣) ص ٤٣.

(٤) ص ٤٩.

والصحيح أن السيرة النبوية قد دونت على مرحلتين، مرحلة أولية من مراحل الاهتمام بالسيرة النبوية عن طريق الرواية الشفهية، ثم عن طريق التدوين الأولي للسيرة، ومرحلة تالية من مراحل التأليف والتدوين في كتب خاصة، ومختصة بالسيرة النبوية.

وقد كانت المرحلة الأولى هي مرحلة اهتمام الصحابة وبعض التابعين بسيرة الرسول ﷺ، فلقد عاش صحابة رسول الله ﷺ في كنف الرسول، فتأدبوا بآدابه، وتخلقوا بأخلاقه، وعايشوه في جميع أمور حياته القولية والفعلية، وشاركوه في بعوثه وسراياه، وغزواته، وعرفوا عن قرب منه سيرته الذاتية في أزواجه، وذراريه، ومسكنه، وملبسه، ومأكله، وفراشه، وفي نومه، وفي صلاته وعبادته، ونظافته وكل شؤون حياته، لذلك فالصحابة على علم دقيق وواسع بالسيرة؛ لأنهم عاشوا أحداثها، وشاركوا فيها، وكانت محبتهم لرسول الله وتعلقهم به، ورغبتهم في اتباعه، وأخذهم بسنته في الأحكام، سبباً في ذيوع أخبار السيرة، ومذكراتهم فيها، وحفظهم لها، وبذلك نقف على نهاية المرحلة الأولى من مراحل تدوين السيرة والاهتمام بها في عهد الصحابة، والتابعين ومن تبعهم من تلاميذهم وغيرهم،

وقد تميز علماء هذه المرحلة بأمرين هما،: (العدالة، والضبط)، وهما شرطان عند العلماء لتوثيق الرواة، وإن كانوا قد وثقوا عند المحدثين رغم دقة شروطهم في التوثيق، ورغم نظرتهم لهم بأنهم محدثو مادتهم الأحاديث، وليسوا إخباريين مادتهم الأخبار، والنقاد يتشددون في مادة الحديث كثيراً، ويتساهلون في قبول الأخبار، فإن هذا التوثيق يعطي كتاباتهم في السيرة قيمة علمية كبيرة.

لقد حفظ الله تعالى سيرة نبيه ﷺ من الضياع والتحريف، والمبالغة والتهويل، بأن هيأ لها جهابذة المحدثين ليعنوا بها، ويدونوا أصولها الأولى، قبل أن تتناولها أقلام المؤرخين، والقصاصين. وهذه ميزة لمصادر السيرة لم تتوافر لغيرها من كتب التاريخ والأخبار وتبرز هذه الميزة لكون المحدثين ثقات مأمونين في الرواية، لكونهم علماء لهم مناهج واضحة في نقد الروايات سنداً ومتناً، ولهم أسلوب يتسم بالجدية والبعد عن الحشو والمبالغة، حقاً لقد كانت المرحلة الأولى من مراحل الاهتمام بالسيرة النبوية، مرحلة التأسيس العلمي الأصيل لمصادر وأوعية معلومات السيرة النبوية، واتسمت هذه المرحلة بالرواية الشفهية، وبث أخبار السيرة عن طريق التلقي في الكتاتيب أو في المساجد أو في المجالس العلمية. ثم تلت هذه المرحلة مرحلة التأليف المبكر في السيرة، والتي حفظت لنا سيرة الرسول ﷺ [1].

وإنّ أهمّ ما في سيرته ﷺ، وأوثقها، وأكثرها صحة هو ما اقتبس من القرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد، وهو الذي لم يشك في صحته العدوّ اللدود فضلا عن الحبيب الودود. والقرآن يقصّ علينا جميع مناحي

(١) ينظر: مصادر السيرة النبوية، ضيف الله بن يحي الزهراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٠/١: ١٨.

السيرة النبوية، وطرفاً من حياته ﷺ قبل النبوة، فيذكر لنا يتمه، وفقره، وتحنثه، وطفولته وشبابه وشؤونه بعد النبوة من هبوط الوحي الإلهي عليه، وتبليغه إيّاه، والعروج به، وعداوة الأعداء، وهجرته، وغزواته، ووفاته، كلّ ذلك تراه مذكورا في القرآن ببيان واضح، وأسلوب متين رائق، ومن ذلك تعلمون أنّه لم تتطرّق أذن التاريخ سيرة رجل بأحسن، ولا أصحّ، ولا أوثق من سيرة محمّد ﷺ.

كما أن كتب الحديث هي الأخرى قد حفظت لنا من أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وأحواله ما يبلغ مئة ألف حديث، وقد امتاز الصحيح منها عن الضعيف والموضوع، والقوي منها عن غير القوي، حتى لم يتركوا في النفوس منزع ظفر لمحقق منصف، بل ولا لمدقق جائز. كما دونت كتب المغازي جميع الغزوات النبوية، وكان لكتب التاريخ الإسلامي وكتب الدلائل وكتب الشمائل التي اقتصرت على ذكر أخلاق النبي ﷺ، وعاداته، وفضائله، وما كان يعمل في يومه من الصباح إلى المساء، وفي ليلة من المساء إلى الصباح، كل تلك المصادر والكتب والمؤلفات كان لها حظٌ وافرٌ من سيرة المصطفى ﷺ.

ولا تقتصر كتب السيرة النبوية على عدد محدد من الكتب، بل إن الذي ألّفه الناس في سيرة النبي ﷺ من عهد الرسالة إلى يومنا هذا في مختلف الأوطان الإسلامية والأجنبية في معظم لغات العالم يعدّ بالألوف.

ودع عنك المسلمين وما صنفوا في سيرة نبيّهم ﷺ، فإنّهم يحبّونه حبّاً عظيماً، ويقدمون ذلك بين يدي الله فرطاً وذخراً لهم يوم القيامة، وتعال ننظر إلى من ألّف في سيرته ممّن لا يؤمنون بنبوته، ولا يوقنون برسالته، ولو نظرنا إلى من ألّف في سيرته ممّن لا يؤمنون بنبوته، ولا يوقنون برسالته، فإننا نجد في الهند نفسها على اختلاف مللها: من الهنادك، والسيخ، والبرهمو وكثيراً من علمائهم قد ألّفوا في سيرته ﷺ، أما الأوربيون الذين لا يدينون بالإسلام ولا يؤمنون بالرسالة المحمدية، فقد صنّف منهم في سيرة النبي ﷺ حتى المبشرون من دعاة النصرانية والمستشرقون، عناية منهم بالتاريخ، وإرواء لظمأهم العلمي، ويعد ما ألّفوه في ذلك بالمئات.

وإنّ مرجوليوث الذي كان أستاذاً للغة العربية في جامعة أوكسفورد أصدر في سنة ١٩٠٥م كتابه (محمد) وجعله حلقة في سلسلة «عظماء الأمم» وهو لم يكتب كتابه هذا ليثني فيه على رسول الله محمد ﷺ، بل لعلّه لم يؤلف كاتب بالإنجليزية كتاباً أشدّ تحاملا على النبي ﷺ مما جاء في هذا الكتاب، وقد حاول مرجوليوث أن يشوّه كلّ ما يتعلق بالسيرة الشريفة، وأن يشكّك في أسانيدها، ولم يألُ جهداً في نقض ما أبرمه التاريخ، ومعارضة ما حقّقه المحقّقون من المنصفين، لكنه مع كل هذا لم يتمالك عن الاعتراف في مقدمة كتابه بأنّ الذين كتبوا في سيرة محمد ﷺ لا ينتهي ذكر أسماؤهم، وأنهم يرون أن من الشرف للكاتب أن ينال المجد بتبوّئه مجلساً بين الذين كتبوا في السيرة المحمدية[١].

(١) ورد قوله هذا في كتابه: محمد، ١٩٠٥م.

ويقول جون ديون بورت: "لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين، والمشرعين، والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلاً وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد ﷺ وأحواله"[1].

وألقى ريورند باسورث سميث عضو كلية التثليث في أوكسفورد سنة ١٨٧٤م محاضرات عن (محمد والمحمدية) في الجمعية الملكية لبريطانيا العظمى، ومما جاء في كلامه: كلّ ما يقال في الدّين يغلب فيه الجهل ببدايته، ومما يؤسف له أن هذا يصحّ إطلاقه على الدّيانات الثلاث «بوذا» و «كونفوشيوس» و «زرادشت»، وعلى أصحابها الذين نعدّهم تاريخيين؛ لأننا لا نعمل لهم وصفا أحسن من هذا الوصف، فإنّنا قلّما نعلم عن الذين كانوا في طلائع الدعوة، والذي نعلمه عن الذين جاؤوا بعدهم واجتهدوا في نشر عقائدهم أكثر من الذي نعلمه عن أصحاب الدعوة الأولين.

أما الإسلام فأمره واضح كلّه، ليس فيه سرّ مكتوم عن أحد، ولا غمّة ينبهم أمرها على التاريخ. ففي أيدي الناس تاريخه الصحيح، وإنّك لا تجد فيما كتبه عنه المؤرخون الأولون أساطير، ولا أوهاما، ولا مستحيلات، وإذا عرض لك طرف من ذلك أمكنك تمييزه عن الحقائق التاريخية الراهنة، فليس لأحد هنا أن يخدع نفسه، أو يخدع غيره، والأمر كلّه واضح وضوح النهار، كأنه الشمس رأد الضّحى يتبين تحت أشعة نورها كلّ شيء .

فهل في العالم دين احتاط أهله مثل هذا الاحتياط، واهتمّوا مثل هذا الاهتمام في كلّ ما يتعلّق بأمر نبيهم وهدايته، وهل ألف في هذا تأليف أكثر صحة، وأعظم ثقة، وتثبتاً، وهل نال مثل هذه الصحّة التاريخية سيرة نبي غيره، وهل حفظ التاريخ من تفاصيل حياة نبيّ من الأنبياء عليهم السلام مثل الذي حفظه من سيرة محمّد ﷺ؟!

إنّ جميع شؤونه وأطوار حياته ﷺ من نسبه، ومولده، ورضاعه، وفصاله، وإقامته في بني سعد، وما عرض له هنالك من شق الصدر وغيره، ومنشأه، وكفالة عبد المطلب جده إياه إلى أن مات، وانتقاله إلى كفالة عمه أبي طالب بعد ذلك، وسفره إلى الشام، ورجوعه منه، وما وقع له في ذلك السفر من إظلال الغمامة إياه، وأخبار الكهان والرهبان عن نبوته، وتزويجه خديجة عليها السلام، ومبدأ البعث والنبوة، ونزول الوحي، وذكر قوم من السابقين الأولين في الدخول في الإسلام، وما كان من الهجرتين إلى أرض الحبشة، وانشقاق القمر، وما عرض له بمكة من الحصار بالشعب، وأمر الصحيفة، وخروجه إلى الطائف، ورجوعه بعد ذلك إلى مكة، وذكر العقبة، وبدء إسلام الأنصار، والإسراء والمعراج، وفرض الصلاة، وأخبار الهجرة إلى المدينة، ودخوله عليه السلام المدينة ونزوله حيث نزل، وبناء المسجد، واتخاذ المنبر، وحنين الجذع، ومغازيه وسيره وبعوثه، وما نزل من الوحي في ذلك، وعمره، وكتبه إلى الملوك، وإسلام الوفود، وحجة

([1]) ورد قوله هذا في كتابه: اعتذار من محمد والقرآن، ١٨٧٠م.

الوداع، ووفاته ﷺ، كلّ ذلك ظاهر أمره، معلومة تفاصيله، وإنّ كل ما ينسب إليه ﷺ، أو يعزى إليه من حق أو باطل، وصدق أو كذب، وصحيح أو فاسد معلوم بالتفصيل، وواضح أمره للناقدين.

أما المحدّثون الكرام من علماء المسلمين؛ فقد جمعوا كلّ ما له علاقة بالنبي ﷺ صحيحاً كان أو سقيماً، حقاً أو باطلاً، وجعلوا لنقده قواعد، وأصّلوا لتحقيقه أصولاً، يرجع إليها في تمييز الصحيح من الفاسد، والغثّ من السمين. وهم قد حفظوا لنا شؤون حياة النبي ﷺ، وأحواله، وأخباره كلّها، ولم يتركوا أمراً من أموره، ولا شأناً من شؤونه إلا ذكروه. حتى لقد وصفوه في قيامه، وجلوسه، ونهوضه من النوم، وهيئته في ضحكه، وابتسامه، وعبادته في ليلة ونهاره، وكيف كان يفعل إذا اغتسل، وإذا أكل، وكيف كان يشرب، وماذا كان يلبس، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم، وما كان يحبّ من الألوان، ومن الطيب، وما هي حليته وشمائله، ووصفوا جسده الطاهر وصفا كاملا كأنك تراه، ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله، وخليلته، وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل، فوصفوا ذلك كما وصفوا الوضوء للصلاة.

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل لقد ضبط المسلمون أحوال النبي ﷺ، وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها، خطيرها وحقيرها، كثيرها وقليلها، بما في ذلك ذكر شعره، وترجّله، وشيبه، وخضابه، وكحله، ولباسه، وعيشه، وخفّه، ونعله، وخاتمه، وصفة سيفه، ودرعه، واتكائه، وصفة أكله، وخبزه، وإدامه، ووضوئه، وما يقوله قبل الطعام وبعده، وقدحه، وفاكهته، وشرابه، وصفة شربه، وتعطره وتطيبه، وكيف كان كلامه، وإنشاده الشعر، ومسامرته وقصصه، ونومه، وعبادته، وضحكه وتبسمه، ومزاحه، وعبادته بعد طلوع الشمس، وتطوعه في بيته، وصومه، وتلاوة القرآن، وبكاؤه وخشوعه، وفراشه، وتواضعه، وأخلاقه، وأسماؤه الكريمة، ومعاشرته، وسنه، ووفاته، وميراثه.

ذلك ممّا يتعلق بنفسه الشريفة، وشخصه الكريم، وهنالك أحاديث عن كلّ طور من أطوار حياته، وناحية من نواحيها، كلّ ذلك في وضوح وجلاء، بحيث لم يبق شيء من حياته مخفيا أمره، مكتوماً سرّه، فإذا دخل بيته؛ فهو بين أهله، وعياله، وأولاده، وإن خرج منه؛ فهو بين أصحابه، ورفقائه، وكلّ ذلك محفوظ، مذكور، مشهور(١).

(١) ينظر: الرسالة المحمدية، سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير دمشق، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٨١/١: ٩٤، السيرة النبوية: دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١٥/١، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تع: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ١٠/١.

إن المسلمين قد جعلوا لرواية الأخبار والسير عن الرسول ﷺ قواعد محكمة يرجعون إليها، وأصولاً متقنة يتمسّكون بها، فلا تروى واقعة من الوقائع إلا عن الذي شهدها، وكلّما بعد العهد عن هذه الواقعة فمن الواجب تسمية من نقل ذلك الخبر عن الذي نقله عمّن شهد، وهكذا بالتسلسل من وقت الاستشهاد بالواقعة، والتحدّث عنها إلى زمن وقوعها، والتثبت من أمانة هؤلاء الرواة، وفقههم، وعدالتهم، وحسن تحمّلهم للخبر الذي يروونه، وإذا كانوا على خلاف ذلك وجب تبيينه أيضاً.

ومع أن هذه المهمّة من أشق الأمور، إلا أن المئات من المحدّثين تفرّغوا لها، ووقفوا أعمارهم على تحرّي ذلك واستقصائه وتدوينه، وطافوا لأجله البلاد، ورحلوا بين الأقطار، باحثين دارسين لأحوال الرواة، وكانوا يلقون المعاصرين لهم من الرواة؛ لينقدوا أحوالهم، وإذا اطمأنوا إلى سيرة فريق منهم سألوهم عما يعرفونه من أحوال الطبقة التي كانت قبلهم، وقد اجتمع من هذا المجهود العلمي العظيم علم مستقلّ من العلوم الإسلامية، أطلق عليه فيما بعد عنوان (أسماء الرجال) فتيسّر لمن أتى بعدهم أن يقفوا على أقدار مئات الألوف من الحفّاظ، والعلماء، والرواة، وغيرهم.

هذا فيما يتعلق بالروايات والمعلومات وحملتها، وهنالك علم نقد الحديث من جهة الدراية والفهم، وأنّ له أصولا محكمة، وقواعد متقنة اتخذوها لنقد المرويات، وتمييز صحيحها من سقيمها، وغثّها من السمين، والرّاجح من المرجوح، وقد تحرّى علماء السّنّة في هذا الأمر الحقّ وحده، وتمسّكوا فيه بالمحجّة البيضاء، وكل ما يؤدي إليه الصدق، فكان عملهم هذا من مفاخر الإسلام، وأنت تعلم أنّ ممّن تحمل الرواية رجالا من الولاة، والحكام، والأمراء الذين يخشى جانبهم، ويحذر الناس بطشهم وجبروتهم، فكان المحدّثون يلتزمون فيهم قول الحقّ، وينزلونهم في المنازل التي يستحقّونها، ولا يبالون بما قد يصيبهم من مكروه بسبب هذه المصارحة بما يرضي الله ويصون أمانات الإسلام[1].

فهل رأيتم مثل هذا الاحتياط، ومثل هذه المبالغة في التثبت عند أهل ملّة أخرى غير ملّة الإسلام؟، وهل يعرف أحد في تاريخ البشر مثالا للاحتياط في العلم والأمانة للحقّ والاستقامة على منهج الصّدق أعلى من هذا المنوال؟ على أنّ جميع مرويات السنة لا تزال محفوظة كما هي إلى زماننا هذا، وإنّ قواعد النقد الموضوعة، وأحوال الرواة الممحّصة، قد يسّرت لكلّ من شاء حتى في زماننا هذا وفي كل زمان أن يميز بها بين الصحيح والسقيم، والغثّ والسمين، والرّاجح والمرجوح، والقويّ والضعيف.

(1) ينظر: الرسالة المحمدية، سليمان الندوي الحسيني، ٨١/١: ٩٤.

يقول نبيل فازيو في كتابه (الرسول المتخيل، قراءة نقدية في الاستشراق: مونتغموري واط ومكسيم رودنسون): "لا تسعفنا كتب السيرة ببلورة رؤية واضحة ومنسجمة عن نشأة النبي محمد وتاريخ وطفولته، والأحداث الواردة فيها على ندرتها وطابعها الخيالي الفاقع، وإنما تشي بوجود غموض في معرفة تفاصيل نشأة النبي وكيفية تكون بنيته الذهنية والروحية، وقد انتبه المستشرقون بدورهم إلى هذا المعطى، وتكفي الإشارة إلى تحديد مولد النبي لتبين مقدار الغموض الذي يعتري معرفتنا بسيرته. ويقول: وهذا ما فطن إليه مكسيم رودنسون، فلقد أكد في كتابه عن النبي محمد أن لا أحد يعرف بالضبط متى ولد، ولا يمكننا إلا أن نعرب عن الاستغراب من كون مكسيم رودنسون قد سلم بما أوردوه في بعض كتب السيرة التي اعتمدها في كتابة كتابه عن النبي محمد من كون النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد عام الفيل دون الاحتفال بأمر التحري من دقة الخبر، لكن هذا لا يعني أنه من السهل إنكار صحة هذه الرواية، وغالباً ما أُعتبرت أنها الأقرب إلى الحقيقة، بيد أن هذا لا يعفي الخطاب الاستشراقي أبداً من واجب تنبيه قارئه إلى الإشكال الذي يطرحه تاريخ مولد محمد"[١].

(١) ينظر: الرسول المتخيل، قراءة نقدية في الاستشراق: مونتغموري واط ومكسيم رودنسون، نبيل فازيو، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ٦١: ٦٣.

المبحث الثاني

رؤية مكسيم رودنسون حول دلائل نبوته ﷺ قبل البعثة

أولاً: رؤية مكسيم رودنسون حول نبوته ﷺ

يقول مكسيم رودنسون: "ما من أحد يعلم بالضبط التاريخ المحدد لولادة محمد والذي أصبح نبي الله في ما بعد"[1]

لقد تجلت رعاية الله عز وجل وعصمته لرسوله ﷺ في قلبه، وعقيدته من الكفر والشرك، والضلال، والغفلة، والشك، وعصمته من تسلط الشيطان عليه، وهو في عالم الذر، وتحدث الوحي الإلهي (قرآناً وسنةً) بذلك بياناً لمنَّة الله عز وجل على نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ الأحزاب: ٧.

ووجه الاستدلال بالآية أنه إذا عهد إلى الأنبياء جميعاً وهم في عالم الذر بتبليغ دينه، وتوحيده. دل ذلك على عصمتهم في عقولهم وعقيدتهم، فلا يصدر عنهم ما يخالف ذلك لا قبل النبوة ولا بعدها، ولا يقول بغير ذلك إلا من يرد على الله عز وجل كلامه باصطفائهم وعصمتهم!. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ آل عمران: ٨١، وهذا غاية التكريم من الله عز وجل لنبيه ﷺ بأخذ الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به، وينصروه إن ظهر في زمانهم، وفى ذلك إشارة إلى أنه ﷺ نبي الأنبياء، وفى السنة المطهرة ما يؤكد الآية الكريمة، فعن ميسرة الفجر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ متى كنت نبياً؟ قال: "وآدم بين الروح والجسد"[2] [3]. وهذا يناقض قول كلام مكسيم رودنسون: "والذي أصبح نبي الله في ما بعد"، كما أن بشارة عيسى عليه السلام به ﷺ جاءت مبكرة، كما في

---

(1) ص ٣٨.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٦٥/٢ رقم ٤٢٠٩، وقال: صحيح الإسناد.

(3) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، ٨١، ٨٢.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الصف: ٦.

وممّن بشّر به ﷺ الرّاهب بحيرا ؛ وذلك أنّ عمّه أبا طالب خرج به إلى الشّام في السّنة الثّانية عشرة من ولادته ﷺ، فلمّا بلغوا بصرى من أرض الشّام رآه الرّاهب المذكور معهم، فعرفه بصفاته المذكورة عنده في الإنجيل، فأمر أبا طالب أن يردّه، وناشده الله في ذلك خوفا عليه من كيد اليهود والنّصارى، فرجع به، وزوّده الرّاهب شيئا من الكعك والزّبيب.

وروى التّرمذيّ في جامعه أنّ نفراً من النّصارى أتوا بحيرا الرّاهب بعد رجوع أبي طالب بالنّبيّ ﷺ وقالوا: إنّا خرجنا في طلب النّبيّ الأمّيّ، وإنّا وجدنا في كتبنا أنّه يمرّ بطريقك هذه في هذا الشّهر، وإنّا نريد قتله، فذكّرهم الله وقال: أرأيتم أمراً يريد الله أن يقضيه أيقدر أحد أن يردّه؟ قالوا: لا، وانصرفوا عنه.

كما بشّر به ﷺ الرّاهب نسطورا؛ وذلك أنّه ﷺ خرج في سنة خمس وعشرين من مولده مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها، في تجارة لها، فلمّا نزل الرّكب بقرب صومعته، نزل إليهم منها، وكان لا ينزل لأحد، وطاف فيهم حتّى رأى النّبيّ ﷺ، فعرف فيه علامات النّبوّة، فأكرمه، وأضافهم لأجله، وعرّفهم أنّه نبيّ هذه الأمّة، وأنّه خاتم النّبيّين، وقال له: احذر على نفسك من كيد اليهود والنّصارى، وأوصى ميسرة به، فقيل له: كيف عرفت أنّه فينا؟ قال: إنّكم لمّا أقبلتم لم يبق شجر ولا حجر إلّا وسجد إلى جهتكم، وكان ميسرة يقول: " كان إذا اشتدّ الحرّ ظلّلته غمامة، تسير معه أينما سار"، فلمّا رجعا من الشّام أخبر ميسرة خديجة بما رآه من كرامته ﷺ وصِدقه، وأمانته، وما أخبر به الرّاهب، وما رآه من تظليل الغمامة له، وغير ذلك، فرغبت خديجة في نكاحه، فخطبته إلى نفسها، وكان كلّ من أشراف قومها حريصا على ذلك، فتزوّج بها ﷺ.

ثمّ بشّر ﷺ به قسّ بن ساعدة، فقد كان يقوم بسوق عكاظ خطيباً، فقام مرّة والنّبيّ ﷺ وأبو بكر حاضران، فقال: " يا أيّها النّاس، إنّ لله دينا هو خير من دينكم الّذي أنتم عليه، وإنّ لله نبيّا قد حان حينه، وأظلّكم أوانه، فطوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه، فبادروا إليه.

ثمّ بشّر به ﷺ قبيل مبعثه زيد بن عمرو بن نفيل، وكان خرج يلتمس دين إبراهيم كما رواه البخاريّ في صحيحه، فأخبره آخر الأحبار إنّه لم يبق أحد عليه، وأنّه قد أظلّ زمان خروج النّبيّ الأمّيّ بمكّة، فرجع واجتمع به النّبيّ ﷺ مراراً، وكان يقول: " اللهمّ إنّي أعبدك وحدك، وأدين لك بدين إبراهيم، ولا أعرف كيف أعبدك؟!" وله أشعار في التّوحيد، ومات شهيداً رحمه الله تعالى، كان النّبيّ ﷺ يترحّم عليه، ويقول: (إنّه يبعث أمّة وحده).

وممّن بشّر به ﷺ قبل مبعثه سلمان الفارسيّ رضي الله عنه، وكان يتنقّل من حبر إلى حبر، حتّى قال له آخرهم عند موته: إنّه لم يبق أحد على دين الحقّ، ولكن قد آن خروج النّبيّ الأمّيّ بمكّة، وعرّفه بصفاته، فخرج مع ركب إليها، فأخذه قطّاع الطّريق، فباعوه إلى يهود المدينة، فلم يزل بها إلى أن هاجر إليها النّبيّ ﷺ، فعرف الصّفات الّتي فيه فآمن رضي الله عنه به، وصدّقه.

وممّن عرفه بصفاته ورقة بن نوفل بن أسد، ابن عمّ خديجة رضي الله عنها، على ما في أوّل صحيح البخاريّ، وكان قد تنصّر وقرأ الإنجيل، فلمّا نزل جبريل على محمّد ﷺ بالوحي، ذهبت به خديجة إلى ورقة، فتحقّق أنّه النّبيّ الأمّيّ الّذي بشّر به عيسى عليه السّلام، فامن به وصدّقه، وأخبره أنّ قومه سيخرجونه من مكّة، وتمنّى أن يكون حاضراً يومئذ لينصره نصراً مؤزّراً [١].

وقد قال ﷺ: (نعم أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام)[٢].

وأما متى وجبت له النبوة، فروي عن ميسرة أنه قال له: متى وجبت لك النبوة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: (وآدم عليه السلام لمنجدل في طينته)[٣].

وقد قال مكسيم رودنسون: "وإذا ما كان الأمر كذلك فإن محمداً عاد إلى الشام وهناك تفيد الروايات بأنه التقى بعدد آخر من الرهبان الذين عاينوا المعجزات التي يتمتع بها نبي المستقبل وهو ما يزال شابا وتوقعوا له مستقبلاً مشرقاً"[٤] وفي كلامه هذا، وبعد بياننا السابق للبشارات التي تلقاها الرسول ﷺ سواءً أكانت من الرهبان أم من غيرهم لهو دليل واضح على رد كلام مكسيم رودنسون واثبات بطلانه.

---

(١) ينظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري(المتوفى: ٩٣٠هـ)، دار المنهاج – جدة، تح: محمد غسان نصوح عزقول، ط١، ١٤١٩هـ، ١٠١: ١٠٥.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" ١٧٥/١- ومن طريقه أخرجه الطبري (٢٠٧٠)، والحاكم ٦٠٠/٢، والبيهقي في "الدلائل" ٨٣/١- عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، به، بلفظ: "أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام " وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي(المتوفى: ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٧٢/٢، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، حديث رقم ١٧١٥٠، ٢٨/ ٣٧٩، حديث صحيح لغيره، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال البخاري: لم يصح حديثه، فذكر الحافظ في ترجمته في "التعجيل" أنه يريد هذا الحديث، وقال: وخالفه ابن حبان والحاكم فصححاه.

(٤) ص ٥٠:٤٩.

ثانياً: التشكيك في كل حادثة أو رواية أوقصة تشير أوتبرز مكانة النبي محمدﷺ

وبيان ذلك فيما يأتي:

١. حادثة شق الصدر

يقول مكسيم رودنسون: "فذات يوم قدم ملكان وفتحا صدره وأخرجا قلبه ثم قاما بتطهيره من الأدران العالقة به بكل دقة قبل أن يعيداه إلى مكانه، ثم وضعاه في كفتي ميزان وجعلا في الكفة الأخرى رجلاً واحداً في البداية ثم عشرة، ثم مائة، ثم ألفا، ثم قال أحدهما للأخر: يكفي فإننا لو وضعنا أمة كاملة في هذا الجانب لرجحت كفته"[١] ثم يقول في تعقيبه على هذه الحادثة -والمعروفة بحادثة شق الصدر-: "وقد تكون هذه القصة بكاملها مختلقة و(مفبركة)، ربما كان لمحمد نوع من القدرة العقلية الخارقة من النوع المعروف لدى "الشامانيين" في شمال آسيا الوسطى أو بعض الزعماء الدينيين في استراليا والذين يشعرون بأن أرواحاً أخذت البعض من أعضائهم واستبدلتها بأعضاء جديدة. ولكن ربما يكون محمد قد تعرض لهجوم حقيقي عندما كان في مرحلة البلوغ. وربما كان أعداؤه من المسيحيين قد قاموا بمثل هذا الأمر"[٢]، ويقول: " وربما كانت قصة الملائكة التي أخذته وفتحت قلبه حين كان يرعى بعض القطعان على ملك عائلة حاضنته قد تولدت عن واحدة من تلك النوبات"[٣].

فها هو مكسيم رودنسون يشكك في صحة هذه الحادثة ويصفها بالمختلقة والمفبركة، كما يصفها بأنها نوع من القدرة العقلية الخارقة، وأنها واحدة من النوبات التي كانت تدفع بالنبي محمد لتخطي حدود الطبيعة، وتارة يصفها بأنها ربما هجوم حقيقي قام به أعداؤه!!

كل هذه الشكوك والفرضيات التي وصف بها مكسيم رودنسون حادثة شق صدر الرسول ﷺ قد ثبت صحتها في كتب السيرة باتفاق، فهي في سيرة ابن هشام (١: ١٧٦)، وطبقات ابن سعد (١: ١١٢)، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص (١١١)، والبداية والنهاية (٢: ٢٧٥)، والخصائص الكبرى للسيوطي (١: ٥٤)، وقد أشارت إليه كتب التفسير، في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح: ١.

وتعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل، وقد رويت هذه الحادثة بطرق صحيحة وعن كثير من الصحابة منهم أنس بن مالك فيما يرويه مسلم في صحيحه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق

---

(١) ص ٤٦.

(٢) ص ٥٦.

(٣) ص ٥٦.

عن قلبه، فاستخرجه، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده إلى مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه- مرضعته- ينادون: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو ممتقع اللون» [1]

وعليه فإن كلام مكسيم رودنسون مردود لصحة السند الذي جاءت به أحاديث حادثة شق الصدر، وكما ورد عن النبي ﷺ حين سئل عنها، كما أن خوارق العادات جاءت للناس ليسلموا بما جاءهم به الرسول ﷺ، ومن الممكن أن يخلق الله في عباده التسليم والإيمان من غير معجزة، أو خارقة للعادة، وتلك مشيئة الله.

ولو فرضنا أن هذه الخوارق لم تقع لرأينا من يطالب بها لتكون دليلاً أمامه على التصديق، كما حدث من أهل مكة، فلقد دعاهم النبي ﷺ بالقرآن الكريم وبكافة الحجج الموجودة فيه، إلا أنهم طالبوا بخوارق للعادات، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء: ٩٠ : ٩٣.

إن إرهاصات النبوة لم تكن ليؤمن الناس بالإسلام، فقد ظهرت قبل المبعث بزمن طويل، ولم يبرزها النبي للناس بعد مبعثه ليجعلها دليلا لهم، وإنما جاءت هذه الإرهاصات تنبيها للعقلاء؛ ليروا عجائب القدرة، وليعلموا أن الله محيط بخَلْقه، وله الأمر كله، ولتبعث في عقولهم البحث عن أسرار ما يشاهدون.

إن الأمر في النهاية عقل ونبوة، وفكر بشري ووحي إلهي، والفرق بينهما كبير، والمؤمن يعطي كل جانب حقه، أما غيره فإنه ينادي بسيادة العقل، وليس له في تصور النبوة والوحي نصيب(٢).

يقول الدكتور محمد سعيد البوطي وليست الحكمة من هذه الحادثة -والله أعلم- استئصال غدة الشر في جسم رسول الله ﷺ؛ إذ لو كان الشر منبعه غدة في الجسم، أو علقة في بعض أنحائه لأمكن أن يصبح الشرير خيِّرا بعملية جراحية، ولكن يبدو أن

---

(1) حديث صحيح، أخرجه مسلم: ١/ ١٠١- ١٠٢، وأحمد: ٣/ ١٢١، ١٤٩، ٢٢٨، زاد في اخره: وقال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، وللحديث شواهد كثيرة، منها عن عتبة بن عبد السلمي عند الدارمي: ١/ ٨؛ والحاكم: ٢/ ٦١٦، صححه ووافقه الذهبي، ومنها عن أبي بن كعب عند عبد الله بن أحمد في زوائد المسند: ٥/ ١٣٩؛ ومنها عن أبي ذر عند ابن جرير في تاريخه: ٢/ ٥١: ٥٢.

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ١٩٧/١: ٢٠١.

الحكمة هي إعلاء أمر الرسول ﷺ وتهيئته للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية؛ ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به، وتصديقهم برسالته. إنها إذاً عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي؛ ليكون ذلك الإعلان الإلهي ظاهراً بين أسماع الناس وأبصارهم، وعلى مستوى تصوراتهم. وأيا كانت الحكمة، فلا ينبغي -وقد ثبت الخبر ثبوتاً صحيحاً- محاولة البحث عن مخارج لصرف الحديث عن ظاهره وحقيقته، والذهاب إلى التأويلات الممجوجة البعيدة المتكلفة، ولن نجد مسوغا لمن يحاول هذا - رغم ثبوت الخبر وصحته- إلا ضعف الإيمان بالله عز وجل.

ينبغي أن نعلم بأن ميزان قبولنا للخبر إنما هو صدق الرواية وصحتها، فإذا ثبت ذلك ثبوتا بيناً فلا مناص من قبوله، موضوعا على الرأس، وميزاننا لفهمه حينئذ دلالات اللغة العربية وأحكامها، والأصل في الكلام الحقيقة، ولو أنه جاز لكل باحث وقارئ أن يصرف الكلام عن حقيقته إلى مختلف الدلالات المجازية؛ ليتخير من بينها ما يروق له، لانشلت قيمة اللغة، وفقدت دلالتها، وتاه الناس في مفاهيمها، ثم فيم البحث عن التأويل ومحاولة استنكار الحقيقة؟ أما إن ذلك لا يأتي إلا من ضعف في الإيمان بالله، ثم من ضعف في اليقين بنبوة محمد ﷺ وصدق رسالته، وإلا فما أسهل اليقين بكل ما صح نقله سواء عرفت الحكمة والعلة أم لم تعرف.(١)

ثم إن جميع ما ورد في شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون تعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك. ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره ﷺ. فقد كانت لنزع العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان من كل بشر، فخلقت فيه ﷺ تكملة للخلق الإنساني، ثم إخراجها بعد خلقها كرامة ربانية، فهو أدل على مزيد الرفعة والكرامة من خلقه بدونها وبنزعها منه نشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، والاتصاف بصفات الرجولية من الصغر فلا لهو ولا عبث وإنما هو الكمال والجد.(٢)

ولعلّ أحاديث شق الصدر تشير إلى هذه الحصانات التي أضفاها الله على محمد ﷺ، فجعلته من طفولته بنجوة قصية عن مزالق الطبع الإنساني، ومفاتن الحياة الأرضية(٣). وأحاديث شق الصدر صحيحة بالسند، أجمعت عليها سائر مؤلفات السيرة، فلا مجال للشك في سندها، وأحاديث شق الصدر مروية عن رسول الله ﷺ بعد مبعثه، فهي بذلك من الوحي المنزل على رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أبدا، ولا يصح

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر–دمشق، ط٢٥، ١٤٢٦ هـ، ١/ ٤٧.

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم – دمشق، ط٨، ١٤٢٧ هـ، ١٩٩/١.

(٣) فقه السيرة، محمد الغزالي (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٢٧ هـ، ٦٦/١.

لمسلم أن يشكك في هذه الروايات الصحيحة، ويدعي أن محمداً قال بها، وهو طفل صغير لا يتحمل الرواية.

إن شق صدر النبي ﷺ كان لإخراج حظ النفس والشيطان من قلبه، لقد كان بوسع القدر الإلهي أن يضع في محمد ما يشاء الله له من فضل وخير، بصورة معنوية غير مدركة بالحواس، لكن الله أراد له هذه الصورة الحسية؛ ليشهد الناس على هذه العجيبة الخالدة التي جعلت من محمد إنساناً قوياً، شجاعاً طاهراً، نظيف الظاهر والباطن ... ولا نستطيع القول بأن حظ الشيطان مرتبط في النفس بجزء مادي أو غدة معينة؛ لأن هذا مما يستحيل تحديده.

وكل ما يمكن الإشارة إليه أن شق صدر محمد ﷺ من عناية الله به؛ ليترقى في الطهر، ويسمو في السلوك، ويعلو في روحانيته وشفافيته، ويقترب في نورانيته من الروح والملأ الأعلى[1]. وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوي وإلزام قائله القول بقلب الحقائق، فهو جهل صريح وخطأ قبيح نشأ من خذلان اللَّه تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنة[2]

وثبوت القصة أو نفيها من قِبل مكسيم رودنسون لا يتبع رضاه ولا عدم رضاه، وإنما المعوّل عليه في هذا ثبوت الرواية أو عدم ثبوتها، وهو دس خبيث، وطعن مردود، وهو أن النبي أصابته نوبة، حتى خيّل إليه ما ليس بحاصل حاصلا، ثم إن حادثة شق الصدر ليست مخالفة للعقل، ولو جاز هذا التشكيك في القصة في العصور الأولى فلن يجوز ذلك اليوم، وقد تقدم العلم والطب، وأصبحت تجرى فيه العمليات الخطيرة في القلب، وفي الكلى، وفي الرئتين، بل أنا أكتب هذا وتجري محاولات عدة لزرع بعض أجزاء إنسان في جسم إنسان آخر، فإذا جاز أن يقع هذا من البشر، أفنستبعد على قدرة الله، وملائكته المؤتمرين بأمره أن يشقّوا صدر النبي، ثم يلتئم بلا آلة، ولا ألم، ولا سيلان دم؟![3]

فإذا كان ابن حبان يقول معبراً عن العصر الذي عاش فيه «إذ البشر إذا شقّ عن موضع القلب منهم، ثم استخرج قلوبهم، ماتوا» فهذا فعلا كان في عصر ابن حبان المتوفى (٣٥٤) هجرية، لا بل هو إلى عهد قريب جدا.

وتقدّم العلم، والطّبّ، والجراحة، والتخدير، والعمليات الجراحية صارت تجرى في غرف معقمة، وبوسائل مختلفة، وتقنية جداً ماهرة، فأمكن للجراحين اليوم من إجراء مختلف انواع العلميات الجراحية، في كل مواضع الجسم الهدف منها استئصال الداء وطرحه حيث لم تعد تنفع الوسائل الطبية، حتى أمكن الآن استخراج القلب، وليس فقط

---

(1) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، ١٩٩/١.

(2) محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ٦٥/٢.

(٣) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم، ١٩٩/١: ٢٠٣.

معالجته، لا بل استبدال القلب التالف بقلب سليم من إنسان مات حديثا، أو حتى من قلب صناعي ثم تخاط طبقات الجسم، وتعاد فلا يموت المريض!. وهذا أصبح في استطاعة الإنسان، أفما استطاعه الإنسان لايستطيعه الله الذي يقول للشيء: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة: ١١٧ ؟!(١)

وعليه " فإن حادثة شق الصدر تستعصي على النفي؛ لا لأن الكثير من رواة صحيح السنة النبوية ذكرتها، وغيرهم من المؤرخين الأوائل، ولكن لكونها واقعة ترتبط بنسيج الظاهرة النبوية ذات الأصول الغيبيّة التي يصعب التعامل معها في إطار التحليل العقلي بمنظور تاريخي"(٢).

إن رواية شق صدر رسول الله ﷺ ثابتة صحيحة رويت في مصادر عدة بطرق صحيحة لا يسع العقل المدرك إنكارها. وإن مكسيم رودنسون في إنكاره لشق الصدر لا يستند إلى علم أو منطق سليم، فمستند إنكاره يكمن في أن ما حدث لرسول الله ﷺ إنما كان ضرباً من النوبات التي كانت تعاوده بين الحين والحين، بهدف إنكار نبوته، لكن المتأمل في معجزة شق الصدر يجد أن هناك بوناً شاسعاً بينه وبين النوبات، فإن النوبة لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به اثناءها، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حل به خلالها، ذلك أن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطيل.

هذه أعراض النوبة كما يثبتها العلم، ولم يكن ذلك ليصيب رسول الله ﷺ، بل كانت تنتبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبهاً لا عهد للناس به، وكان يذكر كل ما يطرأ عليه بدقة فائقة، بدليل قوله ﷺ لما سئل عن كيفية إتيانه الوحي قال: سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه عليّ فيفصم عنّي وقد وعيْتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول(٣)" .

هذا بالإضافة إلى أن قصة شق صدره الشريف تحدث به الأطفال الذين كانوا في صحبته إبان حدوثها، ومن البعيد، بل ومن المستحيل أن يتفق الأطفال على اختراع حادثة لا أساس لها، وذلك لطهرهم وصفاء سريرتهم ونقائها على أن رسول الله ﷺ تحدث بها

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ، ١٣٩/١.

(٢) المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٥٢

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، الباب الثاني، الحديث رقم٢، فتح الباري ٢٥/١-٢٦.

أيضاً بعد الرسالة على ما جاء في رواية مسلم عن أنس بن مالك، وتصريحه بأنه كان يرى أثر المخيط في صدره ﷺ!.

وهؤلاء الطاعنون بذلك أدخلوا أنفسهم في ميدان هم ليسوا من فرسانه فحالفهم الخطأ، وخالفهم الصواب، لأن رواية قصة شق الصدر -كما عرفت آنفاً- رواها أئمة الحديث، وجهابذته العارفون بكل دقائقه، وما يتصل به من تمحيص المرويات، ودراسة أحوال رجالها، وما يتصل بذلك من قواعد علم الجرح والتعديل وغيرها. وأهل كل فن هم أعلم به من غيرهم! وقد ثبت صحة هذه القصة سنداً ومتناً، وأنها خالية من كل مطعن حسب قواعد علم الحديث وأصوله، مما يضطر العقل إلى قبولها والتسليم بها، وأحاديث شق الصدر رواها الخلف عن السلف في كل الطبقات منذ حدوثها إلى الآن، وهذا هو المعول عليه في قبول الحديث أو رده، وليس اتباع الهوى والغرض دون دليل أو برهان، وإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يشذ عن الإقرار بحدوثها إلا كل مكابر يجافى الحق وأهله، وطرائق البحث الجاد المستقيم في صادق الأخبار.[١]

٢.قصة بحيرا الراهب

يقول ماكسيم ردونسون: "وفي بصرى جرت حادثة أوردها المؤرخ الطبري بقوله: فعندما وصلت القافلة إلى بصرى مرت براهب يدعى (بحيرا) كان يقيم في دير له وهو صاحب علم بواحد من الكتب التي جرى توارثها أباً عن جد، وعندما توقفت القافلة بالقرب من بحيرا قدم للمسافرين مأدبة من الطعام، وبينما كان في الدير رأى رسول الله وقد غطته سحابة دون أصحابه المحيطين به ثم تقدموا وتوقفوا تحت ظل شجرة كانت قريباً من بحيرا الذي نظر إلى الغيمة لكن الشجرة أسدلت ظلها وفروعها على رسول الله فبقي دائماً في مكان ظليل حيث انتقل. وعندما لاحظ (بحيرا) ذلك خرج من ديره وبعث في طلب هؤلاء القوم. وعندما رأى (بحيرا) رسول الله راقبه عن كثب وتتبع تفاصيل تحركاته.... ولما نفض القوم أيديهم من الطعام وهموا بالانصراف سأل الراهب محمداً عن الأشياء التي يشعر بها عندما يكون نائماً أو يقظاً ثم فحص ظهره فوجد خاتم النبوة بين كتفيه، ثم توجه بحيرا بالسؤال إلى أبي طالب عن علاقة هذا الولد به فقال له أبو طالب: هذا ابني. فقال له بحيرا: هذا ليس ابنك ولا يمكن أن يكون أباه حياً، فقال أبو طالب حينها بأنه ابن أخيه، فسأله بحيرا إثر ذلك: ماذا فعل أبوه ؟ فرد عليه أبو طالب بأنه توفي عندما كانت أم هذا الابن حبلى به. فقال له (بحيرا) : أنت تقول الحق الآن ثم أوصاه بالعودة إلى وطنه والمحافظة عليه بعيداً عن اليهود، واقسم بأنهم لو رأوه وعرفوا ماعرفتُ فإنهم لن يتوانوا في إلحاق الأذى به. عندها أسرع العم بالعودة إلى مكة مستغرباً مما سمعه في رفقة هذا الصبي العزيز"[٢]، ثم عقّب عليها بقوله: "لكننا نتساءل:

---

(١) ينظر: رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، جمع وترتيب وفهرسه عبد الرحمن الشامي، ٢٨٤: ٢٩٣.

(٢) ص ٤٦:٤٧.

هل هناك جذور حقيقية لهذه القصة؟" ثم يجيب على تساؤله بقوله: "وفي الواقع فإنه لايمكن الجزم بذلك ولايوجد مجال للشك في أن بعض الدوافع لكل ذلك كانت تبريرية"[١].

ومن المعلوم أن قصة بحيرا الراهب لها جذور حقيقية في كتب السيرة النبوية وغيرها من الكتب فقد أخرج قصة بحيرا: ابن إسحاق في سيرته [١/ ٧٣]، ومن طريقه ابن هشام [١/ ١٨٠]، والبيهقي في الدلائل [٢/ ٢٦- ٢٩]، وابن جرير في تاريخه [٢/ ٢٧٧]، وابن الجوزي في المنتظم [٢/ ٢٩٢] .

كما أخرجها بإسناد صحيح وسياق غريب عن أبي موسى الأشعري: ابن أبي شيبة في المصنف [١١/ ٤٧٩] رقم ١١٧٨٢، وفي [١٤/ ٢٨٦] رقم ١٨٣٩٠، والترمذي في المناقب من الجامع، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، رقم ٣٦٢٠ وقال: حسن غريب، والحاكم في المستدرك [٢/ ٦١٥] وصححه، وابن حبان في الثقات [١/ ٤٣]، وابن جرير في تاريخه [٢/ ٢٧٨]، والبيهقي في الدلائل [٢/ ٢٤]، وأبو نعيم كذلك [١/ ١٠٩] رقم ١٠٩، وأخرج قصة بحيرا الراهب أيضا من طرق أخرى: ابن سعد في الطبقات [١/ ١٢٠، ١٥٣ مرتين من طريقين]، وأبو نعيم في الدلائل [١/ ١٦٨]، وأخرجه ابن سعد في الطبقات [١/ ١١٨]، ومن طريقه ابن الجوزي في المنتظم [٢/ ٢٧٤]، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل [١/ ١٦٥] [٢].

ومن الغريب أن يتم تجاهل كل هذا، بل إن الأغرب من ذلك كيف لمكسيم رودنسون إنكار تلك القصة في حين أن الكثير ممن هم غيره من المستشرقين يؤكدون على هذه القصة ويستشهدون بها في تلقي الرسول ﷺ الدين من بحيرا الراهب!!

ومما اتهم به المستشرقون نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأعطر السلام أنه قد تعلم أشياء من بحيرا الراهب، بل إن بعضهم يزعم كذبًا أنه عليه السلام قد سكن مع هذا الراهب أثناء إحدى رحلاته إلى الشام. ولا يكتفي المستشرقون بتضخيم هذه المقابلة التي ترويها كتب السيرة بين الصبي «محمد» وبحيرا الراهب والتي يجعلون من حبتها قبة ضخمة تناطح السماء[٣].

والهدف الذي يرمي إليه مكسيم من دحض هذه الرواية؛ هو نفي دلائل نبوته ﷺ.

---

(١) ص ٤٧.

(٢) ينظر: شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ)، دار البشائر الإسلامية – مكة، ط١، ١٤٢٤ هـ، ٤٠٣/١: ٤٠٥.

(٣) أرشيف ملتقى أهل التفسير، رابط الموقع: http://tafsir.net.

٣. عصمة النبي ﷺ في صغره من الوقوع في أمور الجاهلية:

يقول مكسيم رودنسون: "وهناك مؤشرات واضحة في حياته اللاحقة تكشف عن أنه كان مثل غيره من الناس قد مارس دين قومه"[١] واستشهد بأربع روايات:

الأولى: أن "الروايات الإسلامية تصر على أنه لم يغش (يدخل) المعابد الوثنية في مسقط رأسه " ثم عقب عليها بقوله: "لكن هذا يبدو غير مرجح"[٢].

الثانية: أنه ﷺ "قدم قرباناً للعزى أحد آلهة قريش"[٣].

الثالثة: أنه ﷺ "قُدمت إليه بعض لحوم القرابين المقدمة للآلهة فرفض تناولها لأنه كان موحدا ووبخ من قدمها إليه على فعلته هذه"[٤]، ولكنه وصفها بالرواية المغمورة.

الرابعة: أنه ﷺ "انتمى في وقت سابق الى طائفة (الحمس)، وهي مذهب ديني له شعائره الخاصة في الاحتفالات المكية، ويتشددون في المحرمات"(٥).

إن ما يدحض روايات مكسيم رودنسون أنها قد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى منذ الأزل أن يكون محمد خاتم المرسلين، وعليه أراد سبحانه أن يجعل منه المثل الكامل للإنسان الكامل الذي يسير نحو الكمال بطهارة القلب، وتصفية النفس.

ولما شب رسول الله ﷺ كانت مكة تعج بمختلف أنواع اللهو والفساد والملاذ الشهوانية الدنسة؛ حيث كانت حانات الخمر منتشرة، وبيوت الريبة وعليها علامات تعرف بها، وتلك المغنيات والماجنات والراقصات، من أمور الجاهلية التي كانت تعج في ذلك المجتمع الجاهلي، وتتوجها عبادة الأصنام والأوثان. والله سبحانه وتعالى برأ رسوله، واختاره من أكرم معادن الإنسانية، ثم اختاره لحمل أكمل رسالات السماء إلى أمم الأرض.

وإن ما يؤكد ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما هممت بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما: قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها- فقلت لصاحبي: ألا تبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان؟، فقال: بلى، قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة، فسمعت عزفا بالغرابيل والمزامير، فقلت: ما هذا؟، قالوا: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني فو الله ما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ماذا فعلت؟، فقلت: ما فعلت شيئا، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر، ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعته تلك

---

(١) ص ٤٨.

(٢) ص ٤٨.

(٣) ص ٤٨.

(٤) ص ٤٨:٤٩.

(٥) ص ٤٩.

الليلة فسألت فقيل: نكح فلان فلانة، فجلست أنظر، فضرب الله على أذني، فو الله، ما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر، فو الله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته)[١].

وترى من هذا حماية الله تعالى له من الاسترسال في الهوى، فهو في الخطوة الأولى سد الطريق، لا بمجاهدة نفسية، لأن سنه لم تكن تقوى على المجاهدة النفسية، بل بأمر خارج عن إرادته، وهو النوم الغامر، وكان له نعمة، وتوالى ذلك النوم، حتى قويت إرادته، وكانت له عزيمة تمنع، وقوة إرادة، وبمقتضى النظام الفكري أنه لو لم يعصمه الله تعالى بالنعاس الذى منعه، ربما كان يسترسل فى اتباع الهوى، وبذلك تسيطر الشهوات، فكانت العصمة المانعة في أول الخطوة، وأول الدفعة، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى كما قال عليه الصلاة والسلام من بعد أن منحه الله تعالى الرسالة[٢].

أما عبادة الأوثان فقد جاء في سنن الدارمي من حديث عبد الله بن صالح بسنده إلى ابن غنم قال: (نزل جبريل على رسول الله ﷺ فشق بطنه، ثم قال جبريل: قلب وكيع فيه أذنان سميعتان وعينان بصيرتان، محمد رسول الله المقفى الحاشر، خلقك قيم، ولسانك صادق، ونفسك مطمئنة)[٣]. قوله: (خلقك قيم)، وذلك بعد تصفية القلب من الدرن وما يعلق به من الآثام تهيئاً لحمل الرسالة، وكذلك عُرف عن الرسول ﷺ أنه ما عبد صنماً قط"[٤].

والقصة التالية توضح ذلك؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثتني أم أيمن قالت: كانت بوانة صنما تحضره قريش لتعظمه: تنسك له النسائك، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل، وذلك يوماً في السنة، وكان أبو طالب يحضره مع

---

(١) تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري، محمد بن عبد الكريم بن عبيد أستاذ الحديث وعلومه المشارك قسم الكتاب والسنة جامعة أم القرى، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، حديث رقم ١٠٦، ١/ ٤١٩، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ١/ ٥٨، وابن حجر في المطالب (٤٢٥٣)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٨٧.

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، ٢٤٧/٢.

(٣) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، حديث رقم ٥٤، ١، ١٩٩، يقول المحقق: في إسناده ثلاث علل: عبد الله بن صالح ومعاوية بن يحيى ضعيفان وهو مرسل أيضا عبد الرحمن بن غنم تابعي وليس صحابيا.

(٤) مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١٩٤، ص٤٨.

قومه، وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه، فيأبى رسول الله ﷺ ذلك حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب، وجعلن يقلن: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيد ولا تكثر لهم جمعا؟! قالت: فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع إلينا مرعوباً فزعاً، فقالت له عماته: ما دهاك؟ قال: (إني أخشى أن يكون بي لمم)، فقلن: ما كان الله ليبتليك بالشيطان، وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت؟ قال: "إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض، يصيح بي: وراءك يا محمد: لا تمسّه"، قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبأ[١].

وروى الترمذي وغيره عن أبي موسى أن بحيرا حين حلف للنبي ﷺ باللات والعزى قال له النبي ﷺ: "لا تسألني باللات والعزى شيئاً فو الله ما أبغضت بغضهما شيئاً"[٢]، فكيف يبغضها ويعبدها؟! وأخرج أحمد عن عروة بن الزبير قال: حدثتني جار لخديجة بنت خويلد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لخديجة: "والله لا أعبد اللات أبداً والله لا أعبد العزى أبداً"[٣].

وأخرج أبو يعلى وابن عدي والبيهقي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كان النَّبي ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصَاحبه اذهب بِنا حتى نقوم خلف رسول الله ﷺ قال: كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الأصنام قبيل فَلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم[٤].

---

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٣٨، أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٤)، وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥١) وعزاه إلى ابن سعد وأبي نعيم وابن عساكر.

(٢) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٦/١ نص رقم ١٧٧، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٧٢/١ رقم ١١٠، والبيهقى فى دلائل النبوة ٢٦/٢ ـ ٢٩، كلاهما من طريق ابن إسحاق.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٢٢/٤، ٣٦٢/٥ ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٥/٨، وصحح إسناده أيضاً الشيخ محمد شاكر فى هامشه على المسند ١٥/١٤ رقم ١٧٨٧١.

(٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ٢/ ٣٥، رواه ابو يعلى، وابن عدي، وابن عساكر عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية. «هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبي شيبة، فبالغوا، والمنكر منه قوله عن الملك: «عهده باستلام الأصنام» فإن ظاهره انه باشر الاستلام، وليس ذلك مرادا، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم.

قال الطبراني والبيهقي قوله وانما عهده باستلام الاصنام يعني أَنه شهد مع من استلم الاصنام لا أَنه استلمها والمراد بالمشاهد التي شهدها مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد استلام الأصنام. وقال ابن حجر في المطالب العالية هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبي شيبة فبالغوا والمنكر منه قوله عن الملك عهده باستلام الأصنام فإن ظاهره أنه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم(١).

وهكذا كانت حياته ﷺ حياة زكية طاهرة، من الآثام التي تدنس الشباب في مجتمعاتهم، بعيدة عن الشرك، لم يسجد لصنم قط، بعيداً عن معايب الجاهلية، ومفاسدها(٢).

يقول المستشرق (آرثر جيلمان): " لقد اتفق المؤرخون على أن محمداً كان ممتازاً بين قومه بأخلاق جميلة؛ من صدق الحديث، والأمانة، والكرم، وحسن الشمائل، والتواضع، وكان لا يشرب الأشربة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً "(٣).

أما ما يدحض الرواية الرابعة لمكسيم رودنسون أنه ﷺ " انتمى في وقت سابق إلى طائفة (الحمس) وهي مذهب ديني له شعائر خاصة ويتشددون في المحرمات"، فينقضه وينفيه ما جاء في حديث أبو الوليد قال: حدثني جدي، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أضللت بعيرا لي يوم عرفة، فخرجت أطلبه حتى جئت عرفه، فإذا رسول الله ﷺ واقف بعرفة مع الناس فقلت: هذا رجل من الحمس، فما له خرج من الحرم يعني قريشا كانت تسمى الحمس، والأحمسي المشدد في دينه، فكانت قريش لا تجاوز الحرم تقول: نحن أهل الله، لا نخرج من الحرم، وكان سائر الناس يقف بعرفة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٩٩.(٤)

(١) الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٥٢/١.

(٢) ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي/١٣٨.

(٣) آرثر جيلمان، الشرق، ١١٧.

(٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ)، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٥/٢.

يقول البخاري في الجامع الصحيح: "و(الحمس) جمع أحمس وهو الشديد، سميت به قريش لتشددها فيما كانت عليه من تقاليد دينية في الجاهلية، وقوله: (فما شأنه ها هنا)، أي فما باله ﷺ يقف في عرفة والحمس لا يقفون فيها لأن قريشا كانت لا تخرج من الحرم يوم عرفة وعرفة ليست من الحرم".[1] وهذا دليل صحيح ينفي ويبطل كلام مكسيم رودنسون في انتماء الرسول ﷺ إلى طائفة الحُمس، إذ كيف ينتمي إليهم ويخالفهم فيما عُرف عنهم وتشددوا به ؟!

([1]) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٦٢/٢.

المبحث الثالث

رؤية مكسيم رودنسون في صفات النبي ﷺ قبل البعثة

أولاً: الصفات الشخصية

١. النبي الأُمِّي

يقول مكسيم رودنسون: "فانه يبدو مؤكداً أن محمداً قد تعلم القراءة والكتابة... وليس لدينا طريقة لمعرفة مدى تعلمه"[(١)]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧، فما قيمة كلام مكسيم رودنسون أمام كلام الله سبحانه وتعالى؟!

والملاحظ أن مكسيم رودنسون لم يذكر لنا أدلته، ولا كيف توصل لهذه النتيجة، ولا كيف تعلم النبي محمد ﷺ، ومن الذي علمه؟!، بينما أشار القرآن الكريم إلى أن أمّية الرسول ﷺ ثابته فيه ﷺ، بل ومذكورة عند أهل التوراة والإنجيل بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الأعراف: ١٥٧، فأمية النبي ﷺ موجودة عند أهل الكتاب إلى يومنا هذا، فقد جاء في سفر أشعيا" ويدفع الكتاب للأمي ويقال له: اقرأ هذا أرجوك فيقول: أنا أمي"، أي لست بقارئ [(٢)].

وهذه ترجمة للنص الذي ورد في نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس المعتمدة عند النصارى وهي أوثق النسخ للتوراة والإنجيل عندهم:

---

(١) ص ٤٩.

(٢) الإصحاح ٢٩ الفقرة ١٢.

IF you give it to someone who cannot read and ask him to read it to you, he will answer that he does not know how.

إذا تعطيه إلى شخص لا يستطيع القراءة وتطلب إليه أن يقرأه عليك سيجيب بأنه لا يعرف كيف[1]. وكم من الزمن قد مر بعد عيسى عليه السّلام، وما نزل وحي على نبي أمّي إلا على النبي الأمي محمد ﷺ، الذي يجدون أميته مكتوبة عندهم حتى يومنا هذا.

ثم لا ننسى شيئا آخراً، وهو أنه ﷺ لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب. والحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هي عيشة الصحراء وأحوالها.

إن محمداً ﷺ ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان -كما وصف نفسه مراراً- نبياً أمياً، وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس؛ لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، على أن القراءة والكتابة كانت محدودة في ذلك الحين من تلك الأقطار. ولما كان رسول الله ﷺ أميا احتاج إلى كتاب يكتبون له وقد كان له ﷺ ثلاثة وعشرون كاتباً، وهم: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي والزبير وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ومحمد بن سلمة والأرقم بن أبي الأرقم وأبان بن سعيد بن العاص وأخوه خالد بن سعيد وثابت بن قيس وحنظلة بن الربيع وخالد بن الوليد وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن زيد بن عبد ربه والعلاء بن عتبة والمغيرة بن شعبة والسجل وزاد غيره شرحبيل بن حسنة، قالوا وكان أكثرهم كتابة زيد بن ثابت ومعاوية رضي الله عنهم.

وجاء في غزوة أحد أن العباس كان بمكة وكتب إلى النبي ﷺ كتاباً يخبره بجمع قريش وخروجهم. فلما جاء كتاب العباس وكان أرسله مع رجل من بني غفار، فك رسول الله ختمه ودفعه لأبي بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أُبياً، فلو كان النبي ﷺ يعرف القراءة لما دفع كتاباً يحوي أخباراً سرية إلى أحد لقراءته.[2]

ويعني بالأمّي: " الَّذِي لا يقرأ الكتب ولا يخطها بيمينه"[3]، والأمية وصف خص اللَّه- تعالى- به من رسله محمداً ﷺ إتماماً للإعجاز العلميّ والعقلي الّذي أيده اللَّه به، فجعل الأمية وصفاً ذاتياً له، ليتم بها وصفه الذاتي، وهو الرسالة، لكي يظهر أن كماله النفسانيّ كمال لدنيّ إلهي، لا وساطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات، وبذلك كانت الأمية وصف

---

(1) ينظر: بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته، عبد المجيد الزنداني، دار الإيمان – القاهرة، ٣٥/١.

(2) ينظر: محمد ﷺ، محمد رضا (المتوفى: ١٣٦٩هـ)، ٨٧/١، الكتاب موجود على المكتبة الشاملة بدون بيانات إضافية.

(3) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٦٧/٢.

كمال فيه، مع أنها في غيره وصف نقصان، لأنه لما حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق، وكان على يقين من علمه، وبينة من أمره، ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين، صارت أميته آية على كون ما حصل له إنما هو من فيوضات إلهية[١].

والعجيب أن مكسيم زعم تعلم النبي ﷺ للقراءة والكتابة، ومع ذلك لم يدون أي تعليق أو شرح حول ذلك، بل وتغافل نصوص القرآن الثابتة ونصوص الأحاديث النبوية المتعددة التي تظهر أميته ﷺ، وما ذلك إلى لهدف نفي نبوته ﷺ.

٢. النبي الأمين

يقول مكسيم رودنسون: "وقيل أنه كان يلقب بالأمين"[٢]، حيث يشكك بأكثر صفة اقترنت بالرسول ﷺ منذ وقت مبكر من شبابه ولازمته حتى مماته، بل حتى يومنا هذا. بل واقترنت صفة أخرى إلى جانب صفة الأمانة ولازمتها؛ وهي صفة الصدق، فكان يلقب ﷺ بـ (الصادق الأمين)، "وقد غلب لقبه (الصادق الأمين) على اسمه، فصار علماً عليه بين أهل مكة قبل البعثة وبعدها "[٣].

فعند بناء الكعبة تنازعت القبائل أيّها يكون لها الشرف بوضع الحجر الأسود في موضعه، حتّى كادوا يقتتلون، ثمّ اتّفقوا على أن يُحَكِّموا أوّل داخل عليهم من بني هاشم، فكان ﷺ هو أوّل داخل، فقالوا: هذا محمّد، هذا الصّادق الأمين، رضينا به، فحكّموه، فبسط ﷺ رداءه ووضع الحجر فيه، وأمر أربعة من رؤساء القبائل الأربع، أن يأخذوا بأرباع الثّوب، فرفعوه إلى موضعه، فتناوله ﷺ بيده المباركة، فوضعه في موضعه[٤].

ولقد كان ﷺ مثالا كاملاً للأمانة وأداء الحقوق لأربابها، والصدق في الحديث، لم تحص عنه خيانة ولا كذبة قط، ولما بلغ هرقل ملك الروم كتاب النبي داعياً له إلى الإسلام طلب ناساً من قومه يسألهم عنه، فجيء له برهط فيهم أبو سفيان بن حرب فكان مما قال له: " هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ "، قال: لا، قال هرقل: " ما

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، ١٣٣/٩

(٢) ص ٥٣.

(٣) صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم: دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف: حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م، ٦٣؛ تعرف على الإسلام، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤.

(٤) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري ١١٩.

كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله!! "[١]. ولما هاجر إلى المدينة ترك علياً رضي الله عنه بمكة ليرد الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها[٢].

وقد حُبب إليه ﷺ الخلاء فكان يكره أوثان قومه، فيخلو بغار حراء يتعبد ويتفكر في هذا الكون، أنبته الله نباتاً حسناً فكان أفضل قومه في خُلقه حتى أطلقوا عليه: "الصادق الأمين"[٣].

يقول الفيلسوف الإنكليزي (هربرت سبنسر): "لم يكن محمد إلا مثالاً للأمانة المجسمة، والصدق البريء، وما زال يدأب لحياة أمته ليله ونهاره"[٤].

وعظمة الرسول محمد ﷺ ليست في أنه يمتاز بمجموعة من الأخلاق الإنسانية العالية فحسب، فهو الأمين إذا ذُكرت الأمانة، وهو الصادق إذا ذكر الصدق، وهو الوفي الكريم، الزاهد، الشجاع، المتواضع، الرحيم، البار، الحكيم، الفصيح، البليغ، العابد، كان الرسول هذا كله وكان فوق هذا، فكانت أخلاقه فوق الصعاب وفوق كل الظروف والتقلبات التي تأتي بها الأيام.

وبعد كل تلك الشواهد يأتي مكسيم بِحِيّل للتذاكي بقوله: "وقيل"، وأنى له ذلك أمام كل ما أوردناه بالدليل القطعي على صدقه وأمانته ﷺ.

ثانياً: الصفات الجسدية

يقول مكسيم رودنسون: "أما شجاعته المستمدة من قوته البدنية فتأتية بالاكتساب ولم تكن ذات منشأ فطري وهي كافية لتحقيق قدر معقول من المصداقية في مختلف المعارك التي خاضها طيلة حياته"[٥].

والمتمحص لكلام مكسيم رودنسون يتبين له تشكيكه في شجاعة الرسول ﷺ بأنها لم تكن ذا منبع ومنشأ فطري، بل أنها مكتسبة، وأن شجاعته ﷺ مستمدة بل ومقتصره على قوته البدنية التي كانت كافية لتحقيق قدر معقول من المصداقية في مختلف المعارك التي خاضها طيلة حياته ﷺ، وهذا كلام غير صحيح؛ لأن مواقفه ﷺ تنبئ عن شجاعته بسبب إيمانه وليس بسبب قوة بدنه، وطبيعة المواقف التي وقفها النبي بشجاعة لا تتطلب قوة بدن فحسب بل قوة اعتقاد وتصميم وعزيمة، إلا أن مكسيم رودنسون أراد تغطية أو تبرير شجاعة النبي ﷺ بقوته البدنية لعلها تنطلي على من لا يدقق في طبيعة أسباب شجاعته ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري، باب بدء الوحي رقم ٧، ٨/١.

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم، ٦٢٢/٢.

(٣) موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ه، ٩٦: ٩٧م، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٥٥.

(٤) هربرت سبنسر، أصول الاجتماع، ص ٣٧.

(٥) ص ٥٣.

ولتفنيد كلام مكسيم رودنسون ودحضه وإثبات بطلانه والرد عليه وجب علينا بادئ ذي بدئ التعريف أولاً بمعنى الشجاعة، فالشجاعة هي شدة القلب في البأس، والإقدام بصبر وثبات على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها، وهي خلق محله القلب، ويظهر أثره في الأفعال والأقوال والتروك. فهي إذن ليست قوة البدن، وقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، وهذا التعريف شامل لأنواع الشجاعة ولعناصرها.

فأما أنواعها فثلاثة: شجاعة البدن، وشجاعة القلب، وشجاعة العقل.

وأما عناصرها فثمت خلط لدى الكثير في تحديد عناصر الشجاعة المكونة لها، مما أدى إلى تداخل مفهوم الشجاعة بغيره من الجرأة والتهور والشجاعة واليأس، وبالنظر إلى التعريف السابق، يلوح أن للشجاعة خمسة دعائم تقوم عليها، إن اختل منها واحد لم يصدق مسمى الشجاعة على ذلك الفعل أو القول، وهي:

١. العلم بنفع الفعل أو القول.

٢. الإقدام، بأن يُقدِمَ على الشجاعة مختاراً بعد علمه، فأما المغلوب على أمره فليس بِشجاع، والإقدام إما أن يكون تحركاً لتحصيل الشيء أو ثبوتاً عليه.

٣. وجود المخاطر والمخاوف والمكاره، وهذا ما يستدعي الصبر والثبات؛ فالإقدام في غير مخاطرة لا يعتبر من الشجاعة، بل هو نشاط وهمة.

٤. الصبر، فقد قيل: الشجاعة صبر ساعة، والصبر صبران؛ صبر عند الغضب، وصبر عند المصيبة.

٥. الثبات [1].

وقد اجتمعت كل هذه الأنواع والعناصر في شخصه ﷺ، فكمال شجاعته القلبية والبدنية والعقلية قد ثبتت وتبين، وفيما يأتي بيان ذلك. فأما شجاعة القلب فقد روى ابن إسحاق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنّ رجلاً من بني محارب يقال له: غورث، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمّدا؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟، قال: أفتك به، قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمّد؛ أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: (نعم) فأخذه فاستله، ثمّ جعل يهزه ويهم، فيكبته الله تعالى. ثمّ قال: يا محمّد؛ أما تخافني؟، قال: (لا، وما أخاف منك؟) قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: (لا، بل يمنعني الله منك)، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: (من يمنعك مني؟)، قال: كن خير آخذ، قال: (تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله؟) قال

---

(١) رحمة للعالمين، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، موقع وزارة الأوقاف السعودية، ١٠٤، بتصرف.

الأعرابي: أعاهدك أنّي لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلّى رسول الله ﷺ سبيله، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس[١].

وفي هذه الواقعة دليل على فرط شجاعته ﷺ القلبية، حيث إنه لما وجد السيف مسلطاً عليه لم تتحرك له ساكنة، ولم تظهر عليه أي من علامات الخوف؛ كطلب النجدة، أو الرعشة، أو التوسل إلى الرجل حتى يتركه، بل وُجد فيه قوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " وكأن الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم، وعرف أنه حيل بينه وبين رسول الله ﷺ، تحقق صدقه، وعلم أنه لا يصل إليه، فألقى السلاح وأمكن من نفسه"، فينبغي لكل مسلم أن يقتدي به ﷺ في قوة قلبه، وشجاعته وفي كل أحواله التي لم تكن من خصائصه دون أمته[٣].

يقول أنس رضي الله عنه: " كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس "[٤]، أي: إن أنس رضي الله عنه لم يرَ في حياته، مع ما سمعه من سير الأولين، ومع ما شاهده من حروب وغزوات، من هو أشجع من النبي ﷺ. ووصفه للنبي ﷺ بـ " أحسن الناس" مع أن سياق الحديث عن الشجاعة، لأنه كان رضي الله عنه يرى أن من لوازم كونه ﷺ أحسن الناس، أن يكون أشجعهم، وأن الجبان لا يمكن أن يكون محموداً، أو في مصافّ من يُحمد من الناس[٥].

فالشجاعة وهي شدة القلب عند البأس[٦]، وتكون في قوة القلب وثباته عند المخاوف، وشدة القتال بالبدن بأن يقتل كثيرًا، أو يقتل قتلًا عظيمًا، والأول هو الشجاعة، والثاني يدل على قوة البدن وعمله، وليس كل قوي البدن قوي القلب، ولا عكسه، والخصلة الأولى يحتاج إليها أمراء الجيوش والحروب وقوادها أكثر من الثانية، فإن المقدم إذا كان شجاع القلب ثابتًا، أقدم وثبت ولم ينهزم، فقاتل معه أعوانه، وإذا كان جبانًا

---

[١] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، حديث رقم ٢٩٢٣، ٥/ ٩٢، حديث حسن.

[٢] إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ، حسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، دار المنهاج _جدة، ١٤٢٦ هـ، ٣٤٣: ٣٤٥.

(٣) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١هـ، ٤٨٦.

[٤] صحيح البخاري، باب الشجاعة في الحرب والجبن، رقم ٢٨٢٠، ٤/ ٢٢.

(٥) ينظر: شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عبد الفتاح زواوى، دار القمة – الإسكندرية، ٤٠٣: ٤٠٥.

(٦) ينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ١/ ٤٢٨.

ضعيف القلب ذلَّ ولم يقدم ولم يثبت، ولو كان قوي البدن، وكان ﷺ أكمل الناس في هذه الشجاعة التي هي المقصودة في أئمة الحرب، ولم يقتل بيده إلّا أُبَيّ بن خلف[١].

ففي معركة أحد أدرك رسول الله ﷺ أُبَيُّ بن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله ﷺ بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مرارًا، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير، فقال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فو الله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة[٢]، فعلى الرغم من شجاعته ﷺ إلا أنه لم يكن سفاكاً للدماء كما يتهمه الجهلاء.

أما دليل قوة الجسد وصلابته، فقد روى ابن إسحاق أنه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع، وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم، فبينا هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول اللهﷺ فقال له: (يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه)، أو كما قال له رسول الله ﷺ فقال له ركانة: يا محمد، هل مِن شاهد يدل على صدقك؟، قال رسول الله ﷺ: (أرأيت إن صرعتك أتؤمن بالله ورسوله؟)، قال: نعم يا محمد، فقال له: (تهيأ للمصارعة)، قال: تهيأت، فدنا منه رسول الله ﷺ فأخذه ثم صرعه، فتعجب ركانة من ذلك، ثم سأله الإقالة والعودة، ففعل به ذلك ثانيا وثالثا، فوقف ركانة متعجبا وقال: إن شأنك لعجيب.[٣]

كما أن في قول ركانة _ وهو رجل شديد القوة يحسن الصراع معروف في قومه وقد ذاع صيته_ للرسول ﷺ "إن شأنك لعجيب " لهو دليل على أن النبي لم يكن ليتميز بشجاعة وقوة البدن المكتسبة بالتدريب وغيرها، بل هي فطرية أيضاً وإلا لما تعجب بها

---

(١) ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٤٥٨/٢.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٦م، ٣/ ٦٩، رحمة للعالمين، سعيد بن على بن وهف القحطاني، ١٠٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٧٨) في اللباس، باب: في العمائم، والترمذي (١٧٨٤) في اللباس، باب: العمائم على القلانس، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥١١) وأبو يعلى في مسنده (١٤١٢)، والطبراني في الكبير (٥/ ٧١).

وهو من أقوى الرجال وأعلمهم بفنون القتال وغيره، كما أنه لم يثبت عن النبي ﷺ في كتب السيرة النبوية وغيرها أي حادثة لها صلة بخضوع الرسول ﷺ للتدريب البدني أو غيره وهذا دليل على أنها فطرية قبل أن تكون مكتسبه.

وهذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة الكثيرة تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله ﷺ، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال وكانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته الجسدية والقلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو "موقفه من تعنت سهيل بن عمرو وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل ﷺ عن كلمة "بسم الله الرحمن الرحيم" إلى "باسمك اللهم"، وعن كلمة: "محمد رسول الله" إلى كلمة "محمد بن عبد الله"، وقبوله شرط سهيل على أنه لا يأتي النبي ﷺ رجل من قريش حتى ولو كان مسلمًا إلا رده إلى أهل مكة[1]، وقد استشاط الصحابة غيظًا، وبلغ الغضب حدًّا لا مزيد عليه، وهو ﷺ صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحًا مبينًا"[2].

ثالثاً: الصفات النفسية

يقول مكسيم رودنسون: "ربما كان بإمكانه أن يعيش هادئاً مطمئناً خاصةً وأن كل الظروف تساعده في ذلك، إلا أنه لم يكن ليرضى بهذه الحياة الوادعة يوما بعد يوم، لقد كان يعيش نوعا من القلق"[3].

ويقول: "ومع ذلك كان في أعماق شخصيته شيء من العصبية الذي لم تفلح السنوات المتعاقبة في إزالته، وكانت مثل هذه الأحاسيس قوية جداً إلى الحد الذي يؤدي أحيانا إلى مشاكل"[4].

يذكر مكسيم رودنسون أن نبي الأمة المرسل ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، كان يعاني من القلق بدلاً من الهدوء والاطمئنان، كما أنه كان ﷺ في أعماقه شيء من العصبية المؤدية إلى المشاكل، وسنثبت من خلال ما يلي كذب مكسيم رودنسون من خلال الإثباتات والشواهد التي تنفي بل وتثبت عكس ما قيل، ولعلني ابتدأها بكلام مكسيم رودنسون نفسه حيث يقول في موضع آخر من كتابه: " وكانت صورة محمد إجمالا قد تشكلت بفضل سلوكه المثالي الهادئ " فكيف ذلك!!

---

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، حديث رقم ١٣٨٢٧، ٢١/ ٣٢٨، إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ١٨١.

(٣) ص ٥٣ .

(٤) ص ٥٣.

وقد عُرف الرسول ﷺ بالهدوء وضبط النفس، وهي صفة جلية فيه ﷺ في جميع أحواله، وهي موهبة فطرية وسمة خلقية تكتسب كذلك، وسنذكر هنا موقفين له ﷺ تتبين فيهما هذه الصفة:

ففي معركة حنين عندما فوجئ المسلمون بهجوم قوي من الكفار (هوازن ومن معها) وفر من فر ممن أسلم بعد الفتح، وتراجع المسلمون عشوائياً، في هذه اللحظات الحرجة والصعبة كان رسول الله ﷺ ثابت الجأش هادئ الأعصاب يقول: (أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)[1]، ويقول لعمه العباس: (ناد أصحاب الشجرة)، وبفضل الله ثم بفضل هذا الثبات من الرسول ﷺ آب المسلمون إليه ورجعوا يتجمعون حوله وانتصروا بعدئذ بإذن الله.

هذا الموقف يحتاج إلى تأمل، ففيه الشجاعة وحسن التصرف، وفيه هدوء النفس وعدم الهيجان، وفيه التوازن مع ما في الحدث من شدة، ولكي يحافظ القائد على هدوئه، عليه أن يعتاد على معالجة الأمور المفجعة وكأنها عادية، بدلاً من معالجة الأمور العادية وكأنها فواجع، وعلى القائد الذي يود أن يكون أهلاً للقيادة أن يبدأ بقيادة نفسه ولا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين.

وحتى لا يظن القارئ أن الحاجة إلى مثل هذه السمة قاصرة على المعارك مثلاً، نسوق هنا موقفاً آخر لرسول الله ﷺ، ففي غزوة حنين نفسها غنم المسلمون غنائم كثيرة جداً، فأعطى رسول الله ﷺ من هذه الغنائم أعطيات كبيرة للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وبعض زعماء الأعراب، فوجد الأنصار في أنفسهم شيئاً؛ لأن رسول الله ﷺ لم يعطهم، وظنوا أنه قسّمه في قومه، فجمعهم رسول الله ﷺ في مكان وخاطبهم قائلاً: (يا معشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم، وموجدة وجدتموها علي في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟) قالوا: بلى، لله ولرسوله المن والفضل! ثم قال: (ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟) قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: (أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصدقكم: أتيناك مُكَذِّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، حديث رقم ١٥٠٢٧، ٢٣/ ٢٧٣.

وأبناء أبناء الأنصار). قال: فبكى القوم حتى أخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا[١].

فهذا موقف رسول الله ﷺ الذي يظهر فيه الهدوء وضبط النفس الذي مكنه من استيعاب الموقف خير استيعاب، وحل الإشكال الحاصل بدلاً من تفاقمه، والخروج برضى الجميع بحكم رسول الله ﷺ والتسليم به[٢].

لقد كان ﷺ مسيطراً على أعصابه سيطرة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في أشد المواقف حرجاً وفي أحلك الظروف، فلم تتبدل نفسيته ﷺ في جميع أحواله سواءً أكانت نصراً أم إخفاقاً، فلم يكن من السهل السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له ولقسم من أصحابه في (أُحد) من كل جانب، ومع ذلك سيطر على أعصابه وقاد سفينة المسلمين إلى ساحل الأمان. ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم (الأحزاب) خاصة بعد غدر يهود؛ ومع ذلك سيطر على أعصابه فصدّ (الأحزاب) وقضى على يهود. ولم يكن سهلاً السيطرة على الأعصاب يوم (حنين)، عند انهزام المسلمين، ولكنه ثبت مع عشرة فقط من أصحابه تجاه التيار الجارف من مطاردة المشركين، وسيطر على أعصابه حتى هزم أعداءه، فعاد أصحابه ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد، فعن أي عصبية يتكلم عنها مكسيم رودنسون إن كانت هذه حاله ﷺ في الحرب فكيف هي حالته في الرخاء!!

أما في وقت الرخاء، فقد كانت سيطرته أروع بكثير مما هي عليه في وقت الشدة، ومن أمثلة ذلك يوم فتح مكة، فقد رآه المسلمون يومذاك وقد أحنى رأسه على رحله وبدا عليه التواضع الجم، حتى كادت لحيته تمسّ واسطة راحلته؛ وكلما استشعر بأهمية نصره ازداد تواضعا وازداد على راحلته خشوعا[٣].

إن قيمة سيطرة الرسول ﷺ على أعصابه في مثل هذا الموقف الذي يعدّ أكبر نصر للمسلمين، تتضاعف إذا قارناها بمواقف العظمة والجبروت التي أظهرها غيره من القادة عند انتصارهم، فذهب بهم الطيش مذاهب أدت الى كوارث من نتائجها هلاك ودمار كثير من الناس والأموال، فإذا كانت هذه نفسيته في الحرب فكيف هي في السلم !!

إن بشرًا ممتازًا كمحمد ﷺ لا تدعه العناية غرضًا للوساوس الصغيرة التي تناوش غيره من سائر الناس. فإذا كانت للشر موجات تملأ الآفاق، وكانت هناك قلوب تسرع إلى التقاطها والتأثر بها، فقلوب النبيين -بتولي الله لها- لا تستقبل هذه التيارات الخبيثة

---

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ١٨/ ٢٥٥. إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا، فانتفت شبهة تدليسه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) ينظر: مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٨، ٤٣: ٥٠.

(٣) ينظر: الرسول القائد، محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٤٢هـ،٤٣٩.

ولا تهتز لها، وبذلك يكون جهد المرسلين في متابعة الترقي لا في مقاومة التدلي، وفي تطهير العامة من المنكر لا في التطهر منه، فقد عافاهم الله من لوثاته، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)[١].

ولعل أحاديث شق الصدر تشير إلى هذه الحصانات التي أضفاها الله على محمد ﷺ فجعلته من طفولته بنجوة قصية عن مزالق الطبع الإنساني ومفاتن الحياة الأرضية، فقد طُهِّر الرسول ﷺ من الشوائب التي توجد في نفوس الناس، والسمو به إلى درجة عالية من الطهارات النفسية والخلقية[٢].

وأخيراً: إن هذا الكمال الخلقي الذي أصبح به محمد رسول الله ﷺ أكمل إنسان وأفضله وأعظمه على الإطلاق، الأمر الذي أهله بحق لأن يكون مثالاً أكمل للدعاة الصالحين ونموذجاً نادراً بين كل دعاة الحق والخير في دنيا الدعوة والدعاة، إنما هو مستمد من مصدر كل كمال، ونابع من فيض رباني لا يعرف النضوب ولا يغيض، ولكنه سلسبيل متدفق لا يقف ولا ينتهي ذلكم هو القرآن الكريم الذي استمد منه محمد رسول الله ﷺ كماله النفسي والخلقي فكان مثالاً للكمال البشري في هذه الحياة، ولقد صدقت أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: "كان خلقه القرآن".

وها هي ذي أوصافه ﷺ في القرآن، تلك الأوصاف التي استحق بها أن يكون خير الدعاة بل سيدهم وأمامهم ولا فخر، فلنورد ما ذكرا ولنورد الخاطر عليها وردا. وصفه ربه تعالى بكمال الخلق وعظمته فقال من سورة القلم: ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ القلم: ١: ٤، ووصفه بكامل الرأفة وعظيم الرحمة بما لم يصف به غيره من صالحي عباده فقال تعالى من سورة التوبة: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ التوبة: ١٢٨، ووصفه بكمال العدالة، وحمل شرف الرسالة، وقوة الهداية فقال تعالى من سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في "صفات المنافقين" ٦٩، وأحمد في "المسند" ١/ ٣٨٥، ١/ ٤٠١.

(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان، ص ٩٢.

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥: ٤٦، ووصفه بالمزكي للنفوس المهذب للأخلاق والمثقف للعقول المطهر للأرواح فقال من سورة الجمعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢، ووصفه بأنه برهان على نفسه في إثبات رسالته وتقرير نبوته وكمال هدايته لخلقه قال الله تعالى من سورة النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١٧٤، ووصفه بكمال الشجاعة وقوة الاعتصام بالله والتوكل عليه فقال: ﴿ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ النساء: ٨٤، وقال: ﴿ إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٦.

ووصفه بكمال العبودية له وشرفه باختصاصه به دون سواه من سائر عباده الصالحين فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ الجن: ١٩، وقال من سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإسراء: ١.

ووصفه بأنه الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر المحل للطيبات المحرم للخبائث وهي صفات عظيمة وكمالات عديدة مازه بها وفضله بمثلها تعظيما له وتكريما فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧.

هذه بعض صفات الكمال المحمدي في القرآن الكريم وغيرها كثير اكتفينا بهَا إشارة إلى أن الكمال المحمدي في النفس والخلق إنما هو مستقى من فيض القرآن الذي هو ينبوع الكمالات وبحر الفيوضات، وها نحن نذكر طرفا آخر مما أدب الله تعالى رسوله فكمله وللمعالي أهله ورفعه فجعله أسوة للمؤمنين وقدوة للصالحين، ولنعرف بذلك سر الكمال المحمدي الذي أصبح به أنموذج للدعاة الصالحين، وأفضل الخلق أجمعين.

قال تعالى له وهو يؤدبه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩، وقال له: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَـٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤،

وقال له: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩.

وقال له: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ طه: ١٣١، وقال له: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الكهف: ٢٣،٢٤[١].

فإن كان ما سبق بيانه هو قول للمسلمين فكيف بأقوال غيرهم ؟!.

يقول المستشرق الإسباني (جان ليك): " لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧، كان محمد رحمة حقيقية، وإني أصلي عليه بلهفة وشوق" [٢]. ويقول (برنارد شو): "لقد درست سيرة محمد، ويمكن بحق أن نعتبر محمداً (منقذ الإنسانية) وأعتقد أن رجلاً مثله لو حكم العالم بإيثاره وخُلُقه لجلب للعالم السلام والسعادة"[٣].

فعن أي أخلاق وعن أي صفات نفسية يتكلم عنها مكسيم رودنسون أمام هذه التربية وهذا الخُلق العظيم، وهذه الشهادات العظام .

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، موقع الجامعة على الإنترنت، العدد ١٨، ٢١١: ٢١٤.

(٢) جان ليك، العرب، ٤٣.

(٣) برنارد شو، مقارنة الأديان، ٢٩٤.

المبحث الرابع

رؤية مكسيم رودنسون حول زواجه ﷺ ونبوته

يتطرق مكسيم رودنسون لزواجه ﷺ في خمس نقاط نوضحها فيما يأتي:

أولاً: السبب في تأخر زواجه ﷺ

يقول مكسيم رودنسون: "ويبدو أن محمداً قد بقي في العزوبية فترة تتجاوز ما كان مألوفاً عند قومه، وربما كان الفقر وراء تأخر زواجه"[١].

ولمعرفة سبب تأخر زواج النبي ﷺ نستعرض ما ذكره ابن سعد في طبقاته حيث قال: إن التي قامت بدور الخاطبة بين رسول الله ﷺ، وبين خديجة، هي نفيسة بنت مُنَية أرسلتها خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ لتقوم بذلك. ففي حديث روته أم سعد بنت سعد بن الربيع عن نفيسة بنت مُنّية قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصّي امرأة حازمة جلدة، شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكلّ قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيسا إلى محمد بعد أن رجع من عيرها من الشام، فقالت: يا محمد ما يمنعك أن تزوّج؟ فقال: "ما بيدي ما أتزوّج به"، قلت: فإن كُفِيتَ ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: "فما هي"؟ قلت: خديجة، قال: "وكيف لي بذلك؟" قالت: قُلت: عليّ، قال: "فأنا أفعل".[٢]

فالرواية السابقة تشير صراحة إلى سبب تأخر زواج النبي ﷺ والذي جاء على لسانه ﷺ: "ما بيدي ما أتزوّج به"، أي إنه الفقر، ولكن مكسيم يشكك في ذلك باختياره لكلمة "ربما" في قوله: "وربما كان الفقر وراء تأخر زواجه" ليصرف القارئ –وخاصة الأوربي- إلى التفكير في سبب آخر عادة مايكون من الشباب ألا وهو اللهو.

ثانياً: طلبه ﷺ لأم هانئ رضي الله عنها زوجاً له

يقول مكسيم رودنسون: "ويقال أنه طلب يد ابنة عمه (أم هانئ) من أبي طالب، وكان الزواج من ابنة العم أمراً مألوفاً في المجتمع البدوي وقتها، ولكن طلبه وُجِّه بالرفض ربما لوجود منافس آخر أكثر إشراقاً، وبعد ذلك بوقت طويل أصبحت -(أم هانئ) التي ترملت- سعيدة في أن يجدد ابن عمها عرض الزواج عليها، ولكن محمداً حينها لم يعد ميالاً إليها، ومع ذلك بقيا على علاقة جيدة"[٣].

يذكر مكسيم رودنسون طلب رسول الله ﷺ يد ابنة عمه (أم هانئ) من عمه أبي طالب، ويعلل سبب رفض هذا الزواج هو وجود منافس أكثر إشراقاً قد تقدم لخطبة أم هانئ، ثم يذكر أنها حين ترملت بعد فترة طويلة من زواجها الأول أصبحت سعيدة في أن

---

(١) ص ٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٠٥.

(٣) ص ٤٩.

يجدد ابن عمها طلبه في الزواج منها ولكنه ﷺ لم يعد ميالاً إليها، وقد بقيا بعد ذلك على علاقة جيدة.

ويأتي ردنا على كلام مكسيم في ما ذكره ابن الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: خطب ﷺ إلى أبي طالب أم هانئ، وخطبها هبيرة، فزوج هبيرة، فعاتبه ﷺ، فقال: "يا ابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم"، ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وهبيرة، فخطبها ﷺ، فقالت: والله إني كنت أحبك في الجاهلية، فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مصبيه، فأكره أن يؤذوك، فقال: "خير نساء ركبن الإبل". وذكر ابن سعد عن أبي صالح مولاها أنه ﷺ خطبها، فقلت: إني امرأة مؤتمة، فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه، فقال: "أما الآن فلا"؛ وذلك لأن الله أنزل عليه: "وبنات عمك اللاتي هاجرن معك"، ولم تكن من المهاجرات[١].

وعن أم هانئ تقول: خطبني ﷺ، فاعتذرت إليه، فعذرني، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ الأحزاب: ٥٠، فلم أكن أحل له؛ لأني لم أهاجر[٢].

وبالعودة إلى هذه الرواية نجد أن أبا طالب بيّن للنبي ﷺ السبب الحقيقي في مصاهرته لهبيرة حين قال: " يا ابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم" ودل ذلك على وجود التزام أخلاقي وقبلي في موافقته للزواج من هبيرة ولا يمكن مخالفته. ولذلك نجد مكسيم يستخدم كلمة "ربما" لعدم تيقنه من الأمر.

الأمر الآخر علل مكسيم رودنسون عدم زواج النبي ﷺ من أم هانئ بعد ترملها بعبارة "لم يعد ميالاً إليها"، وعبارة مكسيم هذه جاءت في سياق يفهم منه بأن عدم رغبة النبي في الزواج منها إنما هو بسبب رفضها السابق له، وواقع الحال أن الرسول ﷺ طلبها للزواج فاعتذرت بسبب وجود أبناء لديها، والخشية في أن يؤذوا النبي ﷺ، ثم فيما بعد عرضت نفسها عليه ﷺ فقال لها: "أما الآن فلا" ولم يكن هذا الرفض منه ﷺ بسبب رفضها السابق له كما توحي به عبارة مكسيم من خلال السياق التي وردت فيه، بل إن رفض الرسول ﷺ كان امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ٤/ ٤٥٥.

(٢) الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م، حديث رقم ٣٢١٤، ٥/ ٢٠٨، وقال: حديث حسن.

أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ الأحزاب: ٥٠، فهي لم تهاجر معه وبالتالي لا تحل له ﷺ.

ثالثاً: الدوافع خلف رغبة خديجة رضي الله عنها وقبولها للزواج من الرسول ﷺ

يقول مكسيم رودنسون: "ومما لاريب فيه أن حرص محمد في عمله وإتقانه له قد دفع خديجة إلى الزواج منه، وربما تكون انجذبت إلى سحر محمد عند ملاقاته، ومهما كان الأمر فان المرأة غير المتزوجة تكون غير مرغوب فيها عند العرب بشكل كبير، وإذا كان والدها على قيد الحياة فلربما كان بوسعه حمايتها والدفاع عنها، ولكن لخديجة أكثر من مبرر لتنظر إلى المستقبل بتوجس، ويقال أن خديجة وقتها كانت قد تخطت سن الأربعين ولكنها لم تعدم تماماً الرجال الذين يطمحون إلى الارتباط بها"[١].

يعزي مكسيم رودنسون الأسباب خلف رغبة خديجة رضي الله عنها من الرسول ﷺإنما كانت بسبب اتقانه لعمله وانجذابها لسحره، كما كان كِبر سنها آنذاك وزواجها السابق دافعاً لرغبتها في الزواج من محمد ﷺ وقبولها للزواج منه.

والصواب أن خديجة رضي الله عنها كانت امرأة حازمة لبيبة شريفة مع ما أراد الله بها من كرامة، وقد كانت يومئذ أوسط[٢] نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.

ولما أخبرها غلامها ميسرة ما وجد من خصائص النبي ﷺ وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه دهشة له وإعجاباً به، أعجبت خديجة بعظيم أمانته، ولعلها دُهشت لما نالها من البركة بسببه، فبعثت إليه فقالت له: يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك، وشرفك في قومك وأمانتك وحسن خلقك[٣]. فلمّا قَدِم رسول الله ﷺ مكّة عائداً من تجارته ورأت خديجة ربحها العظيم سرّت من الأمين عليه الصلاة والسلام، وأرسلت إليه تخطبه لنفسها، وكانت سنها نحو الأربعين، فقام الأمين عليه الصلاة والسلام مع أعمامه حتى دخل على عمّها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب فزوجها عمها[٤].

---

(١) ص ٥٠.

(٢) الوسط من أوصاف المدح والتفضيل فكان الوسط من أجل هذا مدحا في النسب.

(٣) ينظر: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، تح: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار – صنعاء، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، باب زواج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، حديث رقم ٣٧٧، ١/ ٣٩٦.

(٤) ينظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤هـ)، دار الفيحاء، دمشق، ط٢، ١٤٢٥ هـ، ١٥، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، ٥٢: ٥٥.

يقول المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات: "لما سمعت خديجة عن أمانة محمد (عليه الصلاة والسلام) وصدق حديثه وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام، ولقد سُرَّت خديجة رضى الله عنها بما فعل محمد عليه الصلاة والسلام وبلغ اعجابها بشخصيته أن عرضت عليه الزواج منها فوافق" (١).

وإن المرء ليتعجب ويتساءل: من أين يأتي مكسيم رودنسون بهذه الحيثيات؟، ولماذا؟، وكأن الهدف من ذلك هو الإقلال من شأن زوجة النبي محمد ﷺ.

رابعاً: استخدام خديجة للخمر وسيلة للزواج من الرسول ﷺ

يذكر مكسيم رودنسون في ختام حديثة عن الزواج من خديجة رضي الله عنها: "وتضيف بعض الروايات بأن كل هذا لم يكن أمراً يسيراً وأن خديجة كانت مجبرة على جعل والدها سكراناً حتى تحصل على موافقته، لكن معظم الروايات تشير إلى أن والدها قد توفي قبل هذا الحدث بمدة طويلة وأن عمها هو من تولى نيابة عائلتها في هذه الزيجة"(٢).

يُلاحظ من كلام مكسيم السابق رغبته في تشويه صورة السيدة خديجة زوجة الرسول ﷺ من خلال إشارته إلى وجود "بعض الروايات" التي تشير إلى أن السيدة خديجة كانت مجبرة على جعل والدها سكراناً لتحصل على موافقته على زواجها، أي أنها امرأة سيئة تفعل ما تريد من أجل تحقيق رغباتها ومصالحها. وطالما أن مكسيم يعلم أن "معظم الروايات" تشير إلى وفاة والدها قبل زواجها بمدة طويلة وأن عمها هو من تولى زواجها فلماذا الإشارة إلى الروايات الأقل عدداً أو الشاذة؟!! سوى رغبة مكسيم واجتهاده بل واستماتته في تشويه صورة السيدة خديجة رضي الله عنها، وقد ذكرنا فيما سبق -وسنشير لاحقاً أيضاً إلى- شرفها وعفتها وطهارتها ونسبها وعقلانيتها ومكانتها بين قومها فكيف يصدر منها هكذا فعل أمام كل تلك الصفات.

وبالتأكيد فإن تشويه صورة السيدة خديجة الطاهرة النقية هو تشويه لصورة الرسول ﷺ بطبيعة الحال، لأنه رضى لنفسه أن يقترن بإمرأة تلجأ إلى فعل أي سلوك شائن من أجل تحقيق رغباتها. لقد أراد مكسيم من خلال هذه الأمور ضرب وتشويه بيت النبوة في نظر القارئ، وخاصة القارئ الغربي.

---

(١) محمد ﷺ في مكة، المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجع الكتاب وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب_ القاهرة، عام النشر: ١٤١٥ هـ، ٩٩.

(٢) ص ٥٠.

خامساً: أسباب زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها

يقول مكسيم رودنسون: "وقد أشار أحد المحللين النفسيين إلى أن إحباط اليتيم الذي حرم من عطف أمه في سن مبكرة من الأسباب التي عززت فكرة الارتباط بامرأة أكبر سناً"[١].

ويقول أيضاً: "ويعتبر هذا الزواج فرصة لمحمد حتى يضمن مستقبلاً مشرقاً، إذ لم يعد هناك ما يؤرقه من الناحية المادية وهو الذي تحول من شخص فقير يعيش ضمن عائلة كبيرة إلى فرد يتمتع بمكانة مرموقة"[٢].

ويقول أيضاً: "ولربما تضمن عقد زواجهما التزاماً من جانبه بأن لا يتزوج عليها ثانية، ولقد كانت خديجة الغنية في وضع يسمح لها بوضع الشروط"[٣].

يعلل مكسيم رودنسون أحد أسباب زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها وقبوله لطلبها أن إحباط اليتيم الذي حرم من عطف أمه في سن مبكرة من الأسباب التي عززت فكرة الارتباط بامرأة أكبر سناً، والحقيقة أن الله تبارك وتعالى قد "حمى محمداً ﷺ في نشأته، فكفله محبوه، فلم ترهق أعصابه، ولم يرهق في يتمه، فنبت نبتاً حسناً محبوباً أليفاً مألوفاً، وحمى نفسه من أن تتردى في مهاوى الانحراف"[٤].

وعليه فيتجلى لنا أنه ﷺ إنما رغب فيها لشرفها ونبلها بين جماعتها وقومها حتى إنها كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة، وقد كانت خديجة أعقل العقائل، وفضلى الفواضل، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة، وهي أول من آمنة به ﷺ.

ورداً على ما قاله مكسيم في اعتبار هذا الزواج فرصة لمحمد حتى يضمن مستقبلاً مشرقاً فنقول: لوكان فرصة للنبي ﷺ لبادر ﷺ باقتنائها، ولكنه لم يفعل حتى طلبته هي لنفسها كما جاء في طبقات ابن سعد: "عن نفيسة بنت مُنّية قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصّي امرأة حازمة جلدة، شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكلّ قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيسا إلى محمد بعد أن رجع من عيرها من الشام، فقالت: يا محمد ما يمنعك أن تزوّج؟ فقال: "ما بيدي ما أتزوّج به"، قلت: فإن كُفِيتَ ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: "فما هي"؟ قلت: خديجة، قال: "وكيف لي بذلك؟" قالت: قُلت: عليّ، قال: "فأنا أفعل".[٥]. وقد قبل بعرضها ليس لمالها ولكن لما رأى فيها

---

(١) ص ٥١.

(٢) ص ٥٠.

(٣) ص ٥٥.

(٤) خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥ هـ، ٣/ ١٢٤، ١٢٥.

(٥) ج ١، ص ١٠٥.

من الصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة الأمر الذي دفعه لقبول عرض الزواج الذي جاءت به صديقتها نفيسة بنت منية.

ولا شك بأن خديجة رضي الله عنها قد واسته بنفسها، ومالها، وكان عليه الصلاة والسلام يعرف ذلك لها، ويذكره ولا ينساه، فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: "مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ".(١)

ثم ماتت رضي الله عنها ولم يبق من مالها شيء ينفق منه على أصحابه، وظل بعض أصحابه ممن أسلم من الرقيق في الظلم والعذاب كبلال بن رباح. بل إن النبي ﷺ لم يتمكن من تجهيز رحلته حين هاجر إلى المدينة المنورة. فأين هذا المستقبل المشرق مالياً الذي تحدث عنه مكسيم؟!.

إضافة إلى أنه عاش حياة البسطاء، قريبا من الناس، يجوع ويشبع، ويغنى ويفتقر، إلى درجة أن خديجة نفسها تحدثت عن حاله ﷺ -عندما أصابه الذعر من لقاء الوحي في غار حراء- بقولها: "إنك لتصل الرحم، وتصدُقُ الحديثَ، وتَحمِل الكَلَّ، وتَكسِبُ المعدومَ، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وتؤدي الأمانة".

فمن كان هذا قراره واختياره، أفيطمع في مال أو ثروة أو تجارة تملكها امرأة تكبره بخمس عشرة سنة، يتزوجها ولا يتزوج غيرها، ثم يطالعنا مكسيم بأن زواجه كان فرصة له حتى يضمن مستقبلاً مشرقاً.

وأما قوله: "ولربما تضمن عقد زواجهما التزاماً من جانبه بأن لا يتزوج عليها ثانية، ولقد كانت خديجة الغنية في وضع يسمح لها بوضع الشروط" فيأتي الرد في أن هذا الزواج قد ظل قائماً بينهما على أساس الألفة والمحبة لا على أساس شروط، فقد ظل ﷺ متمسكاً بهذا الزواج مرتبطاً به حتى توفيت خديجة رضي الله عنها عن خمسة وستين عاما، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وفائه ﷺ لزوجته والذي أراد مكسيم حجب القاريء عن تصور هذا الوفاء إلى وجود شرط يمنعه من الزواج بإمرأة أخرى.

إضافة إلى أن النبي ﷺ قد ناهز الخمسين من العمر، دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أو فتاة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية، مع أنه آنذاك كان قد أصبح في وضع يسمح له بالزواج، وكان بإمكانه الزواج من أي امرأة

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ط الرسالة، ح ٢٤٨٦٤.

قد يرغب بها، ولم يكن لخديجة رضي الله عنها شرط يمنعه من الزواج من امرأة أخرى، إذ كيف ترغب بالزواج منه ثم تشترط عليه ؟!!.

وقد تجاوز ﷺ هذه الفترة من العمر دون أن يفكر بأن يضم إلى خديجة مثلها من الإناث: زوجة أو أمة، ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء، دون أن يخرق بذلك عرفا أو يخرج على مألوف بين الناس، هذا على الرغم من أنه تزوج خديجة وهي أيم، وكانت تكبره بما يقارب خمسة عشر عاماً.

وأياً كانت الحكمة والسبب فإنه لا يمكن أن يكون مجرد قضاء الوطر واستجابة للرغبة الجنسية، إذ لو كان كذلك لكان أحرى به أن يستجيب للوطر والرغبة النفسية في الوقت الطبيعي لهذه الرغبة وندائها، خصوصا وقد كان آنذاك خالي الفكر ليس له من هموم الدعوة ومشاغلها ما يصرفه عن حاجاته الفطرية والطبيعية [١].

وأكبر دليل على فساد ما ذهب إليه مكسيم هو تخبطه في ذكر الأسباب، وعدم تيقنه من أحدها، ولهذا نجده يبدأ حديثه بكلمة "ربما" لعدم استناده لأدلة سوى تفسيرات اجتهادية خاطئة.

سادساً: طبيعة مشاعره ﷺ لخديجة رضي الله عنها

يقول مكسيم رودنسون: "ولا شك بأن عجز خديجة عن منحه ولداً آخر إضافياً كان سبباً كافياً لعدم رضاه عن زوجته المتميزة"[٢].

ويقول أيضاً: "ولم يكن الرسول ليشعر بالعاطفة الجسدية للسيدة خديجة التي سيعيشها في سن متقدمة مع عدد من زوجاته الشابات في المستقبل، لكنه وفي كل الأحوال ما فتئ يكن لخديجة احتراماً كبيراً وامتناناً لم تزدهما الأيام إلا رسوخا"[٣].

يأتي كلام مكسيم رودنسون مخالفاً للروايات الثابتة في أن الرسول ﷺ قد عاش هذه الفترة من حياته قبل النبوة وهو في طمأنينة وراحة نفسية، وذلك بفضل السيدة الودود الولود خديجة رضي الله عنها، ورزقه الله منها البنين والبنات[٤].

وقد روى البخاري ومسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة)، قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة! فقال

---

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، ٥٢: ٥٥.

(٢) ص ٥٤.

(٣) ص ٥١.

(٤) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم، ٢٣١.

رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبّها)[١]، وهذا دليل واضح قطعي على أن علاقة الرسول ﷺ بخديجة رضي الله عنها كانت مبنية على الحب وليس مجرد احترام كبير وامتنان كما يصفها مكسيم رودنسون.

فلقد قضى رسول الله ﷺ زهرة شبابه لم يتزوج عليها، ولا أحب أحدًا مثل حبه لها، وظل طول عمره يذكرها، ويكرم أصدقاءها ومعارفها، وزارته مرة عجوز في بيت عائشة فأكرم مثواها وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، فلما انصرفت سألته عائشة عنها لتعلم سبب إكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة، وروى أيضاً أحمد والطبراني من طريق مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها؟ فغضب ثم قال: (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء)[٢] .[٣]

وروى الشيخان عنها أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها قط؛ ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة -أي صديقاتها من النساء– وربما قلت له: لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: (إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد)[٤] زاد في رواية: قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وفي صحيح مسلم عنها: كان إذا ذبح الشاة قال: (أرسلوها إلى أصدقاء خديجة)[٥] فذكرت له يومًا فقال: (إني لأحب حبيبها)[٦].

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، حديث رقم ٢٤٣٥، ٤، ١٨٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، حديث رقم ٢٤٨٦٤، ٤١/ ٣٥٦، وقال حديث صحيح.

(٣) ينظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، ط٢٥، ١٤٢٦هـ، ٥٢ : ٥٥ .

(٤) صحيح البخاري، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، حديث رقم ٣٨١٨، ٥/ ٣٨.

(٥) صحيح مسلم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم ٢٤٣٥، ٤/ ١٨٨٨.

(٦) ينظر: محمد بهجت البيطار، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام، مجلة المنار، ١٣٥١هـ.

أما تعليل مكسيم رودنسون في أن السبب من أن الرسول ﷺ لم يكن ليشعر بالعاطفة الجسدية للسيدة خديجة يكمن في طبيعة العيشة التي سيعيشها في سن متقدمة مع عدد من زوجاته الشابات في المستقبل، فهذا كلام مناف للواقع تماماً، ولعل مكسيم رودنسون لم يطَّلع على حقيقة زواجه ﷺ من نساءه الأخريات وأعمارهن والأسباب الكامنة وراء كل زواج.

فالنساء اللاتي تزوج بهن ﷺ كلهن ثيبات عدا عائشة، كما أن هناك أسباب خلف زواجه من كل واحدة منهن:

١. سودة بنت زمعة بن قيس القرشية، تزوج عليها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها السكران بن عمرو بن عبد شمس، وبعد موت زوجته خديجة بنت خويلد في مكة قبل الهجرة إلى المدينة، وبعد أن كبُر سنها وهبت يومها وليلتها لعائشة رضي الله تعالى عنها.

٢. عائشة بنت الصديق. عقد عليها قبل سودة، ولكنه دخل عليها بعد أن دخل على سودة، وهي الزوجة الوحيدة التي تزوجها رسول الله ﷺ وهي بكر، وتزوجها ليزيد قربه من أبي بكر الصديق -أول من أسلم من الرجال وآزر دعوة الرسول وصدقه في كل ما يقول، وبذل ما يملك في سبيل الله-.

٣. حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وهذه تزوجها رسول الله ﷺ وهي ثيب، وليست ذات جمال؛ لمكانة أبيها منه ﷺ.

٤. أم سلمة هند بنت سهيل المخزومية، تزوجها ﷺ بعد موت زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد، ليؤوي أولادها، وقد قالت له حين خطبها: ما مثلي ينكح، أما أنا فلا يولد لي، وأنا غيور، ذات عيال، فقال لها رسول الله ﷺ: (أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك، وأما العيال فإلى الله ورسوله فتزوجها).(١)

٥. زينب بنت جحش، تزوجها رسول الله ﷺ بعد طلاق زوجها زيد بن حارثة -مولى رسول الله- ﷺ ليكافئها على امتثال أمر الله تعالى، وليقرر الله حكما يصعب على المجتمع تنفيذه في ذلك الزمن، وهو زواج زوجة المتبنى. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ الأحزاب: ٣٧.

٦. أم حبيبة بنت أبي سفيان، تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن ارتد زوجها عبيد الله بن جحش، وأعرضت عنه إلى أن مات، ولها من العمر بضع وثلاثون سنة، تزوجها رسول الله وهي في أرض الحبشة مهاجرة، وقد عهد للنجاشي بعقد نكاحه عليها، ووكلت

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)، تح: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢م، ١٠٠٤، ٢/ ٩١٥.

هي خالد بن سعيد بن العاص، فأصدقها النجاشي من عنده أربعمائة دينار، وذلك سنة سبع من الهجرة.

٧. جويرية بنت الحارث، تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوجها مسانع بن صفوان الذي قتل يوم المريسيع، وذلك ليشرف قومها بمصاهرته لهم، وبخاصة بعد سبيه لهم في غزوة بني المصطلق.

٨. صفية بنت حيي بن أخطب، تزوجها رسول الله ﷺ ليجبر قلبها بعد قتل أبيها وعمها وزوجها.

٩. ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها أبي رهم بن عبد العزى العامري. وذلك سنة سبع من الهجرة، وعمرها يقرب من الأربعين سنة.

وقد التمس العلماء رحمهم الله تعالى عدة حِكَم من استكثار رسول الله ﷺ من النساء، فقال ابن حجر: والذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه:

أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة، فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها: لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها: للزيادة في تأليفهم لذلك.

رابعها: للزيادة في التكليف، حيث كلف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ للرسالة.

خامسها: لتكثير عشيرته من جهة نسائه، فتزداد أعوانه على من يحاربه.

سادسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال؛ لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.

سابعها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.

ثامنها: خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب، وكثرة الصيام والوصال. وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ.

تاسعها: تحصينهن وقصر طرفهن عليه، فلا يتطلعن إلى غيره، بخلاف العزبة، فإن العفيفة تتطلع بالطبع البشري إلى التزويج، وذلك هو الوصف اللائق بهن.

عاشرها: القيام بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن(١).

(١) مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ٢٥/ ١٩٦: ١٩٩.

المبحث الخامس

منهجية مكسيم رودنسون وأساليبه ومصادره

أولاً: منهجية مكسيم رودنسون وأساليبه

اتضح من خلال هذا البحث أن مكسيم رودنسون وقع في الأخطاء المنهجية التي وقع فيها كثير من المستشرقين الذين تناولوا الدراسات الإسلامية بصفة عامة والسيرة النبوية بصفة خاصة، ومن أبرزها:

١. التشكيك في نبوة محمد ﷺ، واستتبع هذا التشكيك إنكار المعجزات وغيرها من الغيبيات.

٢. سلوك منهج التفسير الشخصي الذي يعكس ثقافته المغايرة للثقافة الإسلامية، وهو ما يعرف بالمنهج الإسقاطي.

٣. التناقض والتخبط وترديد أغاليط أساتذته المستشرقين حول السيرة.

٤. الاستنتاج الخاطئ من الروايات الصحيحة أو الضعيفة.

٥. الافتراض أو تبني فرضيات أساتذته التي تقوم على نصوص صحيحة أو ضعيفة.

٦. الأخطاء التاريخية التي تقلب الحقائق التاريخية.

٧. الافتراء على الرسول ﷺ، وتزييف الحقائق التاريخية.

٨. التظاهر بعدم المعرفة أو شحها في قضايا تعد مشهورة؛ فكثيراً ما يذكر تفاصيل بعض الأحداث، ولكن في بعض الأحداث المشهورة يتظاهر بعدم المعرفة لها، فيستخدم عبارات تفيد الجهل أو التشكيك أو الاحتمالية أو التضعيف.

٩. تشويه السمعة بعرضه لروايات تحمل تشويهاً أو إساءة لشخص ما، ويعقب عليها بعدم صحتها أو ثبوتها، فيذكر بعض الأخبار أو الأحداث النادرة التي يُستشف منها إساءة لشخص ما ثم يعقب معترفاً بأنه ليس لها قيمة تاريخية.

١٠. أساليبه الملتوية الخبيثة حيث يقدم الشك والطعن في الرواية أو القصة قبل ذكرها كي يحصن القارئ لها من التأثر بها.

١١. التشكيك بدون ذكر أي أدلة، حيث يقول: "وإن القصة التي سنرويها لاحقاً -تبين إن صحت- مدى الحضوة التي كان يتمتع بها محمد في مجتمعه، لكن أدلة كثيرة تبين أن هذه الحكاية مختلقة وربما دبجت لغايات تبريرية"[١] ولم يذكر لنا دليلاً واحداً يدل على اختلاق هذه القصة.

([١]) ص ٥٢.

١٢. تناقضاته؛ فبعد أن يشكك في الرواية التي تُظهر رجاحة عقل النبي ﷺ ومدى الحظوة التي كان يتمتع بها محمد في مجتمعه أخذ يمدحه بقوله: "وبشكل عام نحصل على انطباع بأن محمداً كان رجلاً عقلانياً متزناً وحساساً، فعلى امتداد حياته كان معروفا بالتروي قبل اتخاذ أي قرار، وقد أدار شؤون حياته الخاصة والأمور العامة بكفاءة واقتدار، وقد عرف متى عليه أن يتقدم ومتى عليه أن يتراجع، وكان قادراً على اتخاذ الأسباب الكفيلة بنجاح خططه ... كذلك كان "دبلوماسياً " لبقاً قادراً على التفكير بوضوح وعقلانية"[١].

١٣. إذا تحدث عن سيرة الرسول أو رواياته أو مصادر السيرة شكك فيها وحذر ونفى صحتها، بينما عندما يتحدث عن قريش وتاريخها وقبائلها وعشائرها وأحداثها يسوق الكثير من الروايات والقصص والأحداث دون حذر أو شك أو دعوة للتثبت من تلك الأخبار أو بيان لمنهجه في الاستشهاد بالروايات.

١٤. اعتماده على الشاذ من الروايات بهدف تشويه الصورة، في كل ثقافة "في بعض المسائل" تجد فيها ما يشير إلى الحقيقة وقد تجد فيها ما يشير إلى عكسها ودور الباحث هو التحقيق والتثبت للوصول إلى كبد الحقيقة، إلا أن مكسيم لا يفعل ذلك في كثير من المسائل من أجل تشويه سيرة الرسول المتمثلة في شخص الرسول وأبنائه وزوجاته.

وقد كان من الأولى أن يتحقق ويتثبت من صحة ودقة بعض الروايات التي تشير إلى أن خديجة أجبرت على جعل والدها سكراناً لتحصل على موافقته لزواجها من محمد. علماً بأنه اعترف بأن "معظم" الروايات تشير إلى وفاة والدها قبل زواجها بمدة طويلة.

١٥. إطلاقه لأحكام بدون ذكر أي دليل يبين أو يشرح كيف توصل لتلك الأحكام أو تلك النتائج، ومثال ذلك: قوله: "هذا بالكاد كل ما نعرفه عن طفولة النبي وشبابه وهو ما يمثل في أضعف الأحوال ما سجلته المصادر المبكرة قبل أن تظهر روايات أخرى تخرج عن حدود السيطرة المعقولة، لكن هذه الروايات لم تكن كثيرة، ونحن على أرضية غير ثابتة تماماً"[٢]، وهنا لنا أن نسأل مكسيم بعض الأسئلة:

السؤال الأول هو: كيف ثبت لمكسيم أن ما ذكره من أخبار وروايات عن طفولة محمد وشبابه هو بالكاد ما يمثل في أضعف الأحوال ما سجلته الروايات الشاعة قبل أن تظهر روايات أخرى تخرج عن حدود السيطرة المعقولة؟

السؤال الثاني: لم يُبين لنا الروايات التي خرجت عن حدود السيطرة المعقولة؟

السؤال الثالث: كيف حكم على الروايات التي استشهد بها واعتمد عليها في تصوير طفولة النبي وشبابه أنها من الروايات الشائعة قبل ظهور الروايات الأخرى التي خرجت عن حدود السيطرة. وكيف عرف ذلك؟ وكيف توصل إليه، وكيف استطاع التصنيف أو التفريق بينهما؟ وما هي المنهجية العلمية التي استخدامها للتمييز بينهما؟ مع الأسف لم

---

(١) ص ٥٣.

(٢) ص ٤٨.

يقدم لنا شيئاً من ذلك سوى الهوى في رسم الصورة التي يريدها أو الحكم الذي يريده، ليست هنالك أي منهجية علمية مستخدمة في تمحيص الأخبار أو الروايات، وليست هنالك مصادر لا للأخبار أو الروايات التي ذكرها أو التي لم يذكرها.

ثانيا: مصادر مكسيم رودنسون

من المقرر أن كثيراً من المستشرقين قد اعتمدوا على سابقيهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين، وهذا أمر وارد؛ إذ أن المتأخرين من المستشرقين ينظرون لسلفهم من علماء المستشرقين نظرة إجلال وإكبار من ناحية، ومن ناحية أخرى يجدون هذه الدراسات السابقة هي المصادر القريبة منهم، من حيث توافرها، ومن حيث لغتها التي يجيدونها إجادة تامة، فقد تكون هي لغتهم الأم، أو اللغة الثانية التي تعلموها؛ لأنها ثرية بالإنتاج العلمي الاستشرافي كالألمانية مثلاً.

كما أن دواعي الاستشهاد المرجعي ودوافعه قد تكون عاملاً مهماً من عوامل اعتماد المتأخرين من المستشرقين على أسلافهم في توثيق معلوماتهم، ومن هذه الدوافع- عدا إظهار الفضل والريادة والسابقين- مجاملتهم أو الدفاع عن آرائهم التي بثوها في دراساتهم، أو تفنيدها والرد عليها أو تصحيحها، أو ما إلى ذلك من دواعي الاستشهاديات المرجعية العلمية وغير العلمية [1].

ومن المعلوم أن مكسيم رودنسون اعتمد في بقية مصادره والبالغ عددها قرابة العشرة مصادر فقط لروايات واقتباسات ممن سبقوه من المستشرقين الذين أرادوا نفي نبوة محمد ﷺ والتشكيك فيها وتشويه صورته والحط من منزلته ومكانته.

كما أن من الأخطاء التي وقع فيها مكسيم رودنسون أثناء كتابة مادة الفصل الثالث (ولادة نبي) من كتابه (محمد النبي) ما يأتي:

١- تجاهل غزارة مصادر السيرة النبوية الأصلية، والاعتماد على مؤلفات المستشرقين الذين سبقوه.

٢- انتقاء الأخبار الضعيفة التي يوردها من سبقه من أساتذته المستشرقين، وتجاهل الروايات الصحيحة أو التشكيك في صحتها.

٣- جاءت كتاباته غير موثقة لمصادره التي يستقي منها الأخبار والروايات إلا نادراً جداً حتى ينجو من النقد وبيان فساد الاستشهاد، ففي كامل الفصل الثالث الذي كتبه وتحدث فيه بشكل كبير ومفصل عن النبي وطفولته وشبابه وزواجه وأبنائه...الخ، لم يذكر مصادره التي استقى منها كتاباته إلا النذر اليسير جداً من المصادر المعروفة، ولا تتجاوز (٥) مصادر فقط وهي: سيرة ابن هشام سيرة ابن اسحاق والطبقات لابن سعد وصحيح البخاري وتاريخ الطبري

---

(1) مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، علي بن إبراهيم النملة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ٩٢: ٩٤.

فأين الصحة والمصداقية وتحري الحقيقة، خاصة وأنه يكتب عن خير الخلق محمد ﷺ، والذي عرفه العالم بأسره وملأت أرجاء الأرض الكتابات حوله .

يقول المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي: **"**الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية العطرة، يجدون أمامهم من الأسفار ما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام**"**[1].

(1) أرنولد توينبي، مدخل تاريخي للدين، نقلاً عن كتاب: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، حسين حسينى معدى (المتوفي: معاصر)، دار الكتاب العربى – دمشق، ط١، ١٤١٩، ١٧٦.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد رحلة الباحث الطويلة مع الفصل الثالث المعنون بـ (ولادة نبي) من كتاب مكسيم رودنسون (النبي محمد)؛ يمكن إيجاز أبرز نتائج البحث المهمة كما يأتي:

١. المحطة النهائية التي يمكن أن نصل إليها من خلال التعامل مع دراسات المستشرقين بشكل عام ودراسة مكسيم رودنسون بشكل خاص أنه لا يمكن لهذه الدراسات أن ترقى إلى مستوى السيرة فتكون قادرة على التعامل معها والتوغل فيها، وإدراك بنيتها بعمق ورسم الصورة الموضوعية العادلة لها.

٢. الخلل الواضح في دراسة المستشرقين للسيرة وفي مقدمتهم مكسيم رودنسون؛ أن هناك أكثر من خطأ بين ثناياها نتج عن خلل واضح سواء كان في المادة العلمية أم المنهجية، وبطبيعة الحال لن ينتج عن هذا الخلل إلا نقاط سوداء تنتشر كالبثور على جسد السيرة فتشوهه.

٣. عند الوقوف على تحليل ودراسة ونقد مادة الفصل الثالث (ولادة نبي) من كتاب مكسيم رودنسون (النبي محمد) والذي هو مناط هذا البحث؛ فإننا نقع على بعض جوانب الخلل في منهج البحث في حقل السيرة، حيث تبرز نزعته النقدية المبالغ فيها والتي تصل إلى حد النفي بالكيف وإثارة الشكوك حتى في بعض المسلمات، تقابلها من جهة أخرى نزعته في التثبت بصيغ الجزم والقطع والتأكيد على ما هو مشكوك في وقوعه أساساً.

٤. نستطيع أن نخلص من هذا كله؛ إلى أنه ليس بمقدور أي مستشرق على وجه العموم ومكسيم رودنسون على وجه الخصوص مهما اتسعت ثقافته واعتدلت دوافعه واتصف بالحيادية والنزعة الموضوعية أثناء كتابته عن السيرة النبوية أو عنه ﷺ بصفة خاصة، إلا أن يرتطم بوقائعها ومسلماتها، وبذلك ما عليه إلا أن يخالف بعضاً من حقائقها الأساسية، وأن يمارس قاصداً أو بدون قصد التزييف لحقائقها والتشويه لصورتها والتفكيك لنسيجها العام.

٥. منهج المستشرقين وأساليبهم في عرض حياة النبي ﷺ وتشكيكهم فيها وافتراء المزاعم والشبهات كما فعل مكسيم رودنسون؛ يستدعي دراسة ذلك باستفاضة بغية الرد والدحض وإبراز الصورة الجلية والشخصية العظيمة لحياته ﷺ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ)، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت.

٢. ارشيف ملتقى أهل التفسير، رابط الموقع http://tafsir.net

٣. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤. إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ، حسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، دار المنهاج _جدة، ١٤٢٦ هـ.

٥. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٧. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)، تح: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣ هـ– ١٩٩٢م.

٨. بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته، عبد المجيد بن عزيز الزنداني، دار الإيمان – القاهرة.

٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المكتبة التوفيقية.

١٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.١٣٣

١١.تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري، محمد بن عبد الكريم بن عبيد أستاذ الحديث وعلومه المشارك قسم الكتاب والسنة جامعة أم القرى، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢.تعرف على الإسلام، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

١٣.تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٤.تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

١٥.الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٦.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧.حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي(المتوفى: ٩٣٠هـ)، دار المنهاج – جدة، تح: محمد غسان نصوح عزقول، ط١، ١٤١٩ هـ.

١٨.الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ

١٩.خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥ هـ

٢٠.الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت

٢١.خصائص مسند الإمام أحمد، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)،مكتبة التوبة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

٢٢.دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٢٣.ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد(المتوفى: ٨٠٨هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٤.رحمة للعالمين، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، موقع وزارة الأوقاف السعودية.

٢٥.رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، جمع وترتيب وفهرسه عبد الرحمن الشامي.

٢٦.الرسالة المحمدية، سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير _دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٧.الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٤٢هـ.

٢٨.الرسول المتخيل، قراءة نقدية في الاستشراق: مونتغموري واط ومكسيم رودنسون، نبيل فازيو، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

٢٩.الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، حسين حسينى معدى، دار الكتاب العربى، دمشق، ط١، ١٤١٩، ١٧٦.

٣٠.الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣١.سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٢.السيرة النبوية، دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣.السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦م .

٣٤.السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ.

٣٥.السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٦.السيرة النبوية، ضيف الله بن يحي الزهراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٣٧.السِّيرة النّبوية: عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣٨.شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٩.شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ)، دار البشائر الإسلامية – مكة، ط١، ١٤٢٤ هـ.

٤٠.شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عبد الفتاح زواوى، دار القمة –الإسكندرية.

٤١.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٢.صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم رفاعي، إشراف: حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

٤٣. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تع: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٤. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١هـ، ٤٨٦.

٤٥. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر–دمشق، ط٢٥، ١٤٢٦ هـ.

٤٦. فقه السيرة، محمد الغزالي (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٢٧ هـ.

٤٧. القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

٤٨. مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٤٩. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١٩٤.

٥٠. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٨.

٥١. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، موقع الجامعة على الإنترنت، العدد ١٨.

٥٢. محمد ﷺ، محمد رضا (المتوفى: ١٣٦٩هـ)، الكتاب متوفر في المكتبة الشاملة بدون أي بيانات إضافيه.

٥٣. محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٥٤. محمد بهجت البيطار، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام، مجلة المنار، ١٣٥١هـ.

٥٥. محمد في مكة، المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجع الكتاب وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب_ القاهرة، عام النشر: ١٤١٥ هـ.

٥٦. المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٥٧. المستشرقون، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم، نجيب العقيقي، دار المعارف مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤م.

٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٩. مسند الدارمي المعروف بـــ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٦٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، يروت.

٦١. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، علي بن إبراهيم النملة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٦٢. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٣. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، تح: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار، صنعاء، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٤.موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ه، ٩٦: ٩٧م، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦٥. موقع الباحثون المسلمون،
https://www/The.Muslim.researchers/posts

٦٦.نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤هـ)، دار الفيحاء، دمشق، ط٢، ١٤٢٥ هـ، ١٥، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، ط٢٥، ١٤٢٦هـ.